عصير الكتب

الخديعة

رواية

هالة الملوانى

مجرد فكرة

الخديعة

هالة السلوانى

مجرد فكرة
البداية فكرة

إهداء

إلى من علمتني أهمية القراءة منذ الصغر، وساعدتني على النجاح والتغلب على الواقع بالأمل

إهداء إلى سيدة قلبي، ونبض روحي، وصديقة طفولتي ومراهقتي وشبابي، أمي الحبيبة شكرًا لكِ، دمتِ لي سيدة عظيمة في مملكة حياتي، أُهدي إليكِ يا أمى أول رواية لي، وأتمنى أن تنال إعجابك ، وأن أكون دائمًا عند حسن ظنك بى يا أعظم أم فى الدنيا !

إهداء آخر وأخير

إلى رفيق درب السنين، وعدوي اللدود الذي لطالما حيرني بما يفعله بي، وصديقي الصدوق الذي ينصحني دائمًا، ويشجعني في لحظات يأسي، أخي الكبير وابني الصغير الذي أخاف عليه من الدنيا وما فيها، وحبيبي الذى لم أحب رجلًا قبله ولن أحب رجلًا بعده، عشيق قلبي ومحور حياتي زوجى العزيز ، شكرًا لك على كل شيء !

هالة السلوانى

يتعرض الإنسان لمواقف في حياته تجعله ينضج ويكبر عن عمره مائة عام في فترة وجيزة، دون أن يفهم لماذا وضعته الظروف في هذه المواقف، أو لماذا اختارته هو دون غيره ليكون شاهد على أحداث دمرت براءته، وثقته في نفسه، وفى الناس وفى المستقبل

إنها الحياة التي لا نستطيع الاعتراض عليها، فقط نقبلها محاولين إصلاحها قدر المستطاع، ولكن هل ستترك لنا الفرصة لنحيا أم ستظل تعترض طريقنا، وتقهرنا حتى الموت؟! سؤال لن نستطيع معرفة إجابته بشكل دقيق؛ فالحياة دائمًا ما تبهرنا وتصدمنا بشكل لا يستوعبه عقل، بل يقربنا للجنون حتى نفهم ما يحدث.

من هذه المواقف ما حدث يوم وصلنى رسالة على هاتفى تحتوي بعض الكلمات الغامضة " هبة، تعالي حالًا لفيلا ٨ حي الشروق التجمع الخامس، متتأخريش وتعالى لوحدك عمر"

وقفت أحاول استيعاب الأمر لبضع دقائق، لماذا يرسل إليّ عمر رسالة بهذا المضمون الغريب ؟! ولماذا يرسل إليّ رسالة من الأساس ؟! قررت تجاهل الأمر برمته، فربما يكون عمر يدبر لي شيئًا ليؤذينى به، إلا أنني قررت قطع الشك باليقين.

ذهبت مسرعة لفيلا عمر لأرى بنفسى ما يحدث، طوال الطريق القلق والخوف يعصفان بي. عندما وصلت أمام الفيلا كانت مظلمة بالكامل لدرجة توحى بعدم وجود أحد بداخلها وهنا بدأ الشك يفتك بى وأنا

أتساءل ماذا يحدث داخل هذه الفيلا المظلمة؟

ركنت سيارتي أمام المدخل ودخلت في بطء وحرص، وأنا أتلفت حولي وأتعثر في السير؛ فقد كنت أشعر أن قلبي سيتوقف من الخوف والقلق، فأنا لم أكن يومًا من هواة التشويق وأفلام الرعب، وقد كنت بالفعل أشعر بوجود كارثة بانتظاري، وقد كنت محقة في مخاوفي؛ فعندما فتحت باب الفيلا لأدلف بداخلها وجدت ما لم أكن أتوقعه يومًا، مشهدًا صادمًا ومرعبًا ومخيفًا بكل المقاييس ..!

***

شتاء القاهرة الدافئ، حيث المطر الخفيف ولسعة البرد القارصة المحببة للنفس. دائمًا كنت من محبي فصل الشتاء وكنت أعشقه عشقًا؛ فقد كنت أحب إحساس الدفء فيه وأنا محتمية بمنزلي، وحياتي الهادئة التي لم تكن تشوبها شائبة، كنت دائمًا أشعر أنني في كامل نشاطي وسعادتي عندما أقف خلف زجاج نافذتي أشاهد هطول المطر وأستمتع بصوت رذاذه مصطدمًا بنافذتي، وأنا أدعو الله أن يديم عليَّ نعمته، وأن تدوم سعادتي واستقرار حياتي مع زوجي عمر.

بدأت فصول حياتي عندما تعرفت على "عمر" – زوجي، أول حب في حياتي، الرجل الوحيد الذي سمحت له بدخول دنياي؛ فقد كنت في السنة النهائية بكلية الآداب - قسم اللغة الألمانية - جامعة القاهرة عندما قابلته لأول مرة، فقد كان أخا صديقتي وزميلتي فى الجامعة "منى" وكانت هذه هى المرة الأولى التى أراه فيها، فقد كنت أعلم أنه يعيش فى ألمانيا منذ أن كان في الثامنة عشر، حيث كان يدرس فى كلية الهندسة، واستمر في الحياة هناك حتى حصل على الماجستير والدكتوراه.

منذ النظرة الأولى وقعت في حبه، وشعرت به يستقر داخل فؤادي دون مقدمات أو حواجز، فقد كان شابًا وسيمًا مهذبًا من عائلة محترمة، يعمل مع والده في مصانعهم بعد حصوله على شهادة الدكتوراه فى الهندسة من ألمانيا، ورجوعه إلى مصر ليستقر بها نهائيًا ويتسلم إدارة مصانع أبيه، باختصار كان رجلًا لا يقاوم، وحلمًا للعديد من الفتيات.

ولكن ما لم أكن أعرفه أن هذا لم يكن رأيي وحدى.

منذ اللقاء الأول حدث بيننا انسجام ثم إعجاب متبادل وبعد تعدد اللقاءات بيني

وبينه أصبح حبًا لا يقاوم، حبًا مثل حب روميو وجولييت وقيس وليلى، ولا تعتقدوا أنني أبالغ، على الإطلاق، فقد كانت بالفعل علاقة فريدة من نوعها. كان حبنا حديث الجميع دون استثناء ، سواء من جانبي أو جانبه ، ربما لأنني كنت أرفض سابقًا دخول الحب محراب قلبي ، ليس لأنني لا أريده بل على العكس تمامًا فقد كنت أشتهي الحب ولكن في إطاره الشرعي الطبيعي بما يتناسب مع عقيدتي وأخلاقي . والأهم مبادئي وكذلك عمر ، فبالرغم من سفره للخارج واستقراره وحده فى ألمانيا فإنه لم يسمح لأي امرأة أن تدخل حياته ، أو حتى أن يعبث مثل معظم شباب جيله ، فقد كنت أول حب في حياته كما كان هو أول حب في حياتي

وتماما مثل ما يحدث في أغلب علاقات الحب التي تكون بموافقة الأهل وترتيبهم ، تمت خطوبتنا واتفقنا أن يكون الزواج بعد انتهاء دراستي الجامعية، وبالفعل تم الزواج

لا أستطيع أن أصف بالكلمات مدى سعادتي باقتراني بـ "عمر"، فقد كان زوجًا رقيقًا ، مُحبًا، يحترمني بشدة ويقدر ذكائي وشخصيتي ، لم يتغير مثل كثير من الرجال بعد الزواج ، بل على العكس تمامًا أصبح أكثر حبًا وتعلقًا بي ، وكان يعمل المستحيل لإسعادي ، لكنني كنت دائمًا أشعر بإحساس غريب ، كأنما يوجد ثغرة ما في حياتنا، لكنني لم أعلم أبدا ما هي. إلا أنني أرجعت إحساسي الغريب ربما لأن عمر كان أول رجل في حياتي ومن الطبيعي أن أكون خائفة منه ، فأنا لم يكن لى تجارب مع الرجال سابقا وبالتالى لا أعرف كيفية التعامل معهم.

لكن هذا لم يمنع حبى الشديد له، فقد كنت لا أشعر بأنوثتي إلا وأنا في أحضانه، وأسمعه وهو ينطق اسمي في لحظات عشقنا، لم أرَ يومًا رجلًا آخر

غيره ، كان لفظ رجل بالنسبة لي لا يطلق إلا لأجل "عمر"

من أجله أفنيت نفسي وشخصيتي، من أجل إسعاده وإرضائه ، ورغبة مني في رؤيته ناجحًا وسعيدًا باعتبار أن نجاحه وسعادته هما نجاحي وسعادتي

- كعادة معظم نساء بلادنا - ؛ فنحن للأسف تتم تربيتنا وتعليمنا منذ نعومة أظافرنا على أن سعادة الرجل ونجاحه أهم من سعادة المرأة ونجاحها ، حتى في الطبقات الراقية والمثقفة نجد نفس العادات والتقاليد والأفكار، لهذا وبالرغم من تفوقي الدراسي إلا أنه كان أمرًا طبيعيًا جدًا أن أذعن لرغبته، وأكتفي بدراستي الجامعية، وأظل في المنزل .. زوجة وحبيبة وربة بيت فقط.

وافقت دون أي مناقشة لأنني كنت أحبه، ولم أكن أستطيع إغضابه، وليس معنى ذلك أنني لم أكن سعيدة ، بل على العكس تماما لقد كنا عشاقًا فوق العادة ، وأمضينا أيامنا في الحب والعشق حتى النخاع .

لم نشعر بمرور ثلاث سنوات على زواجنا الجميل الرائع بكل ما تحمله الكلمة من معنى ، حتى ظهر شبح مشكلة .. مشكلة لم أكن أعلم أنها ستكون بداية مفاجآت وأحداث غير متوقعة ، سوف تقلب حياتي رأسًا على عقب ،

مشكلة تأخر الحمل

فقد بدأ أهلي وأهله يتسائلون لماذا لم ننجب حتى الآن ؟ أين الحفيد ؟ أين ولي العهد ؟ ونحن أيضًا كنا نريد هذا الطفل بشدة ، ذلك الكائن الملائكي الذي سيحمل جينات حبي وحب عمر لي ، فهو ثمرة حبنا وقطعة ثمينة مني ومنه كان القرار الصائب أن نذهب للطبيب لنستعلم منه عن سبب التأخير؟ وبالفعل ذهبنا وطلب منا الطبيب إجراء التحاليل والفحوصات اللازمة لتبين سبب التأخير ، وعندما انتهينا منها ولأن عمر يعمل طوال الوقت، ذهبت أنا آخذة

معي كل الفحوصات والتحاليل، خائفة بشدة مما سيقوله الطبيب لي، فكلمة واحدة منه قد تنقذ حياتي ، وكلمة أخرى قد تدمرها

وقد كان لي كل الحق في ذلك ؛ فما سمعته من الطبيب قد جرحني ودمرني، ولن أبالغ إن قلت أنه ذبحني . لن ننجب أبدًا ، هكذا قال لي الطبيب بوجه يملؤه الأسى والحزن ، بالرغم من تأثره ورقته وهو يتكلم معي إلا إنه لم يعرف أن كلماته غرزت خنجرًا مسمومًا في قلبي ، خنجرًا شعرت به يقطع أوصال قلبي ، وينثر كل جزء بعيدًا عني وأنا عاجزة عن حماية نفسي من الألم ، وضياع حلمي في ان أكون أم

لقد قالها الطبيب صريحة.. لن أكون أمًا ، وعمر لن يكون أبًا ، لن نحصد ثمرة حبنا مهما حاولنا ، لقد كان الأمل مستحيلًا بل معدومًا تقريبًا ، لكنني لم أستطع تقبل تلك الفكرة القاتلة ، فلم أستسلم لكلام الطبيب وذهبت لكل الأطباء المتخصصين في هذا المجال ، من ذوي السمعة أو حتى المبتدئين لعل وعسى أجد لديهم حلًا لأزمتي ، لكن كل المحاولات كانت دون أمل ، فكرت في السفر إلى فرنسا ؛ فهناك أشهر معامل لعلاج العقم ومشاكل الأنجاب

وبالفعل قمت باختلاق عذر وهمي لعمر، بأن لدى صديقة في فرنسا أريد السفر لها لاحتياجها الشديد لي ، ونزولًا لرغبتي وافق عمر غير مبالٍ بما يحدث من حوله ، فقد كذبت عليه وأقنعته أن الطبيب الذي ذهبنا إليه سافر في مؤتمر خارج مصر ، ولن يعود قبل شهر حتى يتوفر لي وقتًا كافٍ للسفر لفرنسا دون أن يشك في شيء ، وأضمن في الوقت ذاته أنه لن يتصل بالطبيب ، ويعرف منه الحقيقة ، وما أسفرت عنه الفحوصات

وسافرت إلى فرنسا ، وبدأت رحلة المعاناة والذهاب لكل مراكز علاج العقم الكبيرة هناك عارضة كل الفحوصات والتقارير والتحاليل أملًا في نقطة نور

تظهر من بعيد ، تنير لي حياتي التي أظلمت، ولا أعلم كيف سيكون شكلها بعد هذا الظلام،

ولكن للأسف الشديد كانت نفس الإجابة تقال لي في كل مرة. لن ننجب أبدا، ولا يوجد علاج لنا مهما حاولنا.

عدت إلى مصر، اليأس والحزن والألم يملؤني ، لن أكون أمًا أبدًا ، سأحرم من أجمل عاطفة أعطاها الله للمرأة ، وكذلك عمر لن يكون أبًا مهما حاول ، كم كانت الصدمة قوية وقاسية علي ، فأنا أعشق الأطفال ، منذ زواجي من عمر وأنا أحلم بطفل يخلّد حبنا ، حتى أنني كنت أتخيل شكله كيف ستكون عيونه ، كيف سيتكلم ، متى سيحبو ، المدرسة التي سيدخلها ، هل سيكمل تعليمه في مصر أم في الخارج ؟!

يا الله ! لقد خططت لحياته كلها ، لقد مرت علي الأيام صعبة وقاسية وغير محتملة ، وأصعب ما فيها كانت حيرتي ، كيف سأخبر عمر تلك المأساة التي وضعتنا فيها الأيام ؟ كيف سأصارحه ؟ وماذا ستكون ردة فعله ؟ هل سيتركني كما يفعل أغلب الرجال في الحالات المشابهة أم سيتزوج علي ؟ أم سيستمر معي معلنًا أن حبنا أقوى من كل شيء ؟!

لم أستطع أن أستنتج ردة فعله ، ولا حتى أتخيلها ، ورغم كل شيء حسمت أمري ، سأخبره ، يجب أن يعلم ، فهذا حقه

كان عمر يجلس في غرفة مكتبه يعمل كعادته كل مساء، عندما دخلت عليه حاملة أسوأ وأتعس خبر من الممكن أن يسمعه مني ، كان يعمل على "اللاب توب" أمامه وهو منهمك تمامًا لدرجة أنه لم يشعر بي وأنا أدخل وأجلس أمامه

عمر ، عمر .

أيوة يا حبيبتي
في حاجة كنت عاوزة أكلمك فيها ، أنت مشغول ؟
حتى لو مشغول أفضّي لك نفسي ، خير

ترك عمر "اللاب توب" ونظر إليّ منتظرًا حديثي في اهتمام

عمر أنا .... جبت الفحوصات ورحت للدكتور
الدكتور ؟ أنتِ مش قلتِ لي إنه مسافر ؟
لأ
!!؟؟؟
أنا كدبت عليك، أنا قلت لك كده عشان كنت محتاجة وقت أستفسر على حاجة
هية ، في إيه ؟ أنا مش فاهم حاجة !
أنا أنا مبخلفش يا عمر (قلتها وأنا أشعر بغصة تعتصر حلقي من الألم، والدموع المختنقة داخلي تريد الخروج بقوة لتعلن أنني بشر ، وأن كل ما مررت به كان فوق طاقة البشر).
إيه ؟!
زي ما سمعت أنا مبخلفش ، ومستحيل أخلف يا عمر ، مستحيل

تدفقت من عيني الدموع غزيرة عندما قام عمر من مجلسه وجاء بجانبي، وأحاطني بذراعه القوية الدافئة

هية ، أكيد في حل يا حبيبتي ، مش معقول
للأسف مفيش ، أنا لفيت على كل دكاترة مصر وفرنسا ، وكلهم أجمعوا أنه مستحيل أخلف

عند هذه اللحظة خارت كل قواي داخل ذراع عمر ، ولم أستطع أن أتمالك نفسي ، وأنفجرت في بكاء مرير حاد داخل أحضانه تشبثت به بشدة كما لو كانت روحي بيديه ، كما تشبث بي هو الآخر ، وهو يقاوم انهمار دموعه

ويأسه، بقينا على هذا الوضع بعض الوقت متشبثين بعضًا ببعض ونحن نبكي ضياع حلمنا خائفين مما هو آتٍ ، غير عالمين بما ستخبئه لنا الحياة مجددًا

اتفقنا في هذا اليوم أن نظل سويًا مهما حدث ، وأننا لن نفترق مهما كانت الأسباب، فما بيننا أكبر بكثير من حلم الإنجاب فحبي له وحبه لي هو طفلنا الذي أنجبناه يوم ألتقت عيني بعينه ، وتواعدنا على ألّا نفترق ، ونكمل حياتنا حتى النهاية عندما احتواني عمر في أحضانه مجددًا في هذه الليلة ، وقبلني بحب وعذوبة ، وتلامست شفتانا ونحن ننطق أسماء كل منا ، كان حبًا نجربه لأول مرة ، كان حبّ العاشق الخائف من ضياع معشوقته ، كان حبّ اليائس من غدر الأيام والبشر وقد كان

زيارة غير متوقعة

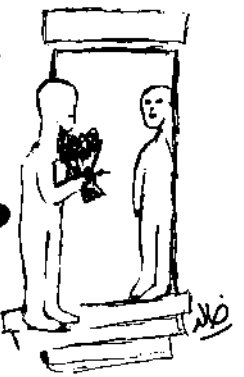

مارس ٢٠١٠

مرت الشهور بعد ذلك هادئة إلى حد كبير ، لم يعكر صفوها شيء حتى عندما اجتمعت بأهلي وأهل عمر ، وأبلغتهم بالنبأ الأسود ، كنت أتوقع غضب أو استنكار من أهل عمر بسبب رغبتهم الشديدة في الحفيد ، إلا أنني فوجئت بهم يتفهمون الموقف فى رضا غريب، بل ويتعاطفون أيضا معي ، ويرددون أن كل شيء قسمة ونصيب ، ومن يعلم .. ربما تحدث معجزة وأنجب ؛ فلا شيء بعيد عن قدرة الله - سبحانه وتعالى -

باختصار مرَّ كل شيء بسلام غريب ، والعاصفة التي كادت أن تعصف بحياتي وتدمرها نجاني الله منها بأعجوبة جعلتني أنا شخصيًا أتساءل هل ما أعيشه حقيقة أم خيال ؟ ولكنني في وقتها لم أرهق نفسي كثيرًا بالتفكير فقد كان ما بي يكفيني ويزيد ، وبالتدريج بدأت أهدأ وأنا أرى حياتي وسعادتي السابقة تعود إلى مجددا. لكن ولأكون صريحة لم أكن أشعر بالراحة والاطمئنان ؛ فالشعور الغريب الذي كان يأتيني بين حين وآخر - منذ زواجي بعمر - ازداد قوة ، والثغرة التي كنت أشعر بها فى علاقتنا تعمقت ، كيف ؟!

لا أعلم ! بالرغم من أن عمر لم يتغير ظاهريًا ، وظل كما هو الزوج المحب ، الرقيق العذب إلا أنني في أعماق نفسي شعرت أنه تغير كثيرًا داخليًا، كيف ؟ لم أستطع تحديد ذلك في وقتها ، ولكن فيما بعد عرفت أن إحساسي كان صادقًا

كان كل شيء يبدو طبيعيًا في ذلك اليوم من منتصف شهر مارس، كان الطقس حارًا وجافًا ، وأنا لم أكن أبدًا من محبي الطقس الحار ، ربما لهذا السبب استيقظت متوترة ومضطربة دون سبب واضح، لم أكن أعلم أنه يوم فاصل في حياتي .

بدأت طقوس حياتي المعتادة بعد ذهاب عمر لعمله ، من تنظيف وترتيب للمنزل ، وتحضير الطعام كأي ربة منزل من الدرجة الأولى فى انتظار عودة عمر للمنزل ليتناول معي الغداء مثل كل يوم ، عندما رن جرس الباب معلنًا قدوم مفاجأة لم أكن أتخيلها أو أتوقعها ، صديقتي الغائبة عني منذ أعوامٍ طويلة "داليا الشافعي" التي قررت زيارتي لأول مرة منذ سنوات

فقد كنا ثلاث صديقات لا نفترق أبدًا منذ التقينا في عامنا الجامعي الأول، ومنذ اليوم الأول أصبحنا أصدقاءً أوفياءً

منى شاهين ، داليا الشافعي ، وأنا هبة رؤوف ، ثلاثة صديقات بل ثلاثة أخوات ، أمضينا سنوات الجامعة مجتمعات لم نفترق يومًا ، كنت أحبهم وأحب وجودهن في حياتي ، كنا نتصارح في كل شيء ، نذاكر معًا ، نخرج سويًا ، لا نفترق أبدًا منذ الصباح وحتى المساء ، وفى كثير من الأحيان كنا نبيت سويًا في بيتي أو بيت "منى" إلى أن تعرفت على "عمر" وبدأت قصة حبي معه التي باركتها أخته "منى" ونمتها "داليا"

ومع تطور العلاقة ، وكلما اقتربت من عمر وقويت علاقتي به ، كلما بعدت عني داليا ، وزادت بيننا المسافات ، حاولت كثيرًا أن أعلم السبب، ولكنها لم تجبني قط ، إلا أنني لم أكتفِ ببعدها عني ، وحاولت مرارًا سؤالها هل تحب عمر ، هل كان بينها وبينه شيئًا في يوم من الأيام؛ فصداقتي لها تمنعني من أن أحب أو أرتبط بالشخص الذي تحبه؛ فأنا لا أستطيع أن أرى أعز صديقاتي وأحب الناس على قلبي حزينة وتعيسة بسببي ، ولكنها نفت بشدة ذلك الأمر مؤكدة لي أنها لا تحبه ، ولم يكن بينها وبينه شيء ، لكنها في نفس الوقت لم تشرح لي سبب بعدها عني وسبب تلك النظرة الباردة القاسية التي كانت دائمًا تنظر لي بها عند اقتراب موعد خِطبتي من عمر كانت علاقتي بـ "داليا"

أصبحت تقريبًا منتهية ، ومع زواجي من عمر انقطعت العلاقة تمامًا ، وانقطعت أخبارها ولم أسمع عنها شيئًا منذ ذلك الحين ، حتى "منى" لم تكن تعرف عنها أي شيء . حتى جاء اليوم الذي جاءتني فيه "داليا" إلى منزلي

عندما رأيتها أمامي أقبلت عليها وأحتضنتها بشدة ؛ فقد كنت أفتقدها وأفتقد مرحها وشقاوتها وضحكاتها العالية البريئة ، كنت أفتقد ذكرياتنا الجميلة وأيام المذاكرة وسهر الليالي ، كنت أفتقد أيام كُنا أخوات وصديقات ، ولا أبالغ حين أقول أنني عندما رأيتها أحسست أن الله أراد أن يعوضني عن المحنة التي مررت بها بجلب داليا مجددًا لحياتي ، حتى يلتئم شملنا نحن الثلاثة مجددًا.

هذا ما كنت أتوقعه ، لكن الأقدار تخبئ لنا دائمًا ما لا نتوقعه. كانت داليا تجلس أمامي وفي عينيها ذات النظرة الباردة القاسية التي كانت ترمقني بها سابقًا ، لكنني تغاضيت عنها وابتدرتها قائلة

داليا ، وحشتيني أوى أوى ، أنتِ كنتِ فين يا بنتي المدة دي كلها ؟

أنا دورت عليكِ كتير بس معرفتش أوصلك أبدًا.
كنت مسافرة ولسة راجعة من كم شهر كده
كم شهر يا داليا ، ومفكرتيش تكلميني لحد دلوقت ؟
معلش بقى ظروف
ولا يهمك المهم أنى شوفتك ، منى كمان هتنبسط قوي لما تشوفك
أنا مش جاية أزورك يا هبة
نعم !!
زى ما بقولك أنا مش جاية أشوفك ولا أسلم عليكِ
غريبة يا داليا.. أمال جاية ليه ؟
جاية أديكِ الظرف ده ، شوفيه وأبقي كلميني. أنا رقمي متغيرش على فكرة.
إيه إللى فى الظرف ده؟

أعطتني داليا مظروفًا مغلقا ،واتجهت للباب وهي تلقى على نفس النظرة الباردة القاسية التي تخللت كل المقابلة ، والتى كللتها بابتسامة ساخرة وهي تقول لي "باي" ثم رحلت.

جلست قليلًا بدون حراك أتأمل المشهد الغريب الذي حدث أمامي منذ دقائق معدودة، هذه ليست داليا صديقتي التي كنت أضحك وأتكلم وأفرح وأحزن معها ، إنها شخص غريب لا أعرفه ، ولأكون صادقة لا أريد أن أعرفه أو تكون لي أي علاقة به في هذا الوقت لم أكن أعلم أن داليا بالفعل كانت لها أسرارًا كثيرة لم أكن أعلم عنها شيئًا

نظرت للمظروف وقتًا طويلًا ، خائفة من شيء مجهول يحثني على عدم فتحه، وفي نفس الوقت فضولي يقتلني ويريدني أن أفتحه لأعرف ما به، وبالفعل تغلب فضولي على خوفي وفتحت المظروف ، ويا ليتني ما فعلت

وجدت صورًا كثيرة قديمة وحديثة و " سي دي" ، لأول وهلة لم أتبين ماهية هذه الصور. ولماذا أعطتني داليا صورًا قديمة لها عندما كنا في الجامعة ، وأخرى لها في شقة وأخرى لها في ألمانيا ، وصورًا أخرى لرجل وامرأة في علاقة حب وأوضاع جنسية غريبة ؟!!

ولكن بعد تركيز وتدقيق في الصور تبينت الرجل والمرأة ، إنها داليا أيام الجامعة معي ومع منى ، وداليا وهي في ألمانيا في شقة عمر !! وداليا وهي عارية تمامًا في علاقة جنسية مع رجل، يبدو مألوفًا لي ، إنه عمر، زوجي

لم أشعر بشيء سوى دوارن الغرفة بكل محتوياتها من حولي ، لم تقو قدماي على حملي ، سقطت متخشبة مذبوحة للمرة الثانية ، حاولت أن ألتقط أنفاسي

وأستجمع قوتي وكرامتي المهدورة ، التقطت الصور مجددًا بأيدٍ مرتعشة ، وقلبٍ يملؤه الحزن والألم ، ويعتصره الأسى

حقا أشعر أن خنجرًا غرز في قلبي للمرة الثانية ، ليس فقط لأنني اكتشفت خيانة زوجي الذي أحبه بل أعشقه ، لكن لخيانة صديقتي التي تناست أنها صديقتي ، وتناست أيامنا وذكرياتنا معا ، وقبلت أن تطعنني بكل قسوة بخنجر الخيانة المسموم في قلبي

تأملت الصور بألم والدموع تنهمر من عينيّ كحمم النار ، إنها صور تجسد العلاقة الجنسية التي جمعت زوجي بصديقتي ، لم تكن الصور واضحة بشكل كبير إلا أن بها شيئًا غريبًا لم أتبين ماهيته في وقتها ، وجدت التواريخ الموجودة على الصور تدل على أنها متفاوتة أي أن زوجي الحبيب كان يخونني طوال الوقت منذ ارتباطنا وحتى الآن

ليس فقط منذ ارتباطنا ، ولكن من قبل ذلك أيضًا ؛ فأمامي صور لداليا في شقة عمر في ألمانيا ، معنى ذلك أن داليا كانت على علاقة بعمر منذ أن كان في ألمانيا ؟! يا الله ، لماذا لم تخبرني ؟ لماذا أخفت عني ؟ هو أيضًا لم يقل شيئًا ، لم يتكلم عن داليا ولو لمرة واحدة حتى عندما كنت أتحدث معه بشأنها ، وكيف ابتعدت عني بعد ارتباطنا ، لم يعلق ولم يبدِ أي اهتمام يذكر بالموضوع ، ماذا يحدث ؟! أنا حقًا في كابوس.

هبة ، حبيبتي ؟ أنتِ فين ؟

قالها عمر وهو يتجه لغرفة الجلوس التي أنا جالسة فيها أرضًا مذهولة مما رأيته منبوحة لا أستطيع الحراك ، أمامي الصور مبعثرة ، ومعها حياتي كلها والوهم الكبير الذي عشت فيه مغيبة عن كل شيء.

هبة ، مالك قاعدة كدة ليه ؟ ومبترديش عليا ليه؟

رفعت عيني لعمر أتأمل وجه الرجل الذى قتلني بمنتهى القسوة ودون سبب واضح، كيف هان عليك حبي وعشرتي؟ كيف نسيت أيامنا وذكرياتنا سويا؟ هل كان كل ذلك كذبًا؟ ألم تكن تحبني حقًا؟ كيف نسيت أحلامنا وطموحاتنا؟ كيف تطعنني هكذا ؟! كيف ؟!

هبة ، مالك ؟ وإيه الصور دي ؟

نهضت في هدوء وأنا أحاول التماسك بقدر الإمكان فأنا أريد معرفة الحقيقة كاملة هذا حقي ، لملمت الصور و "السي دي" وأحتفظت بهم في يدي ، ونظرت لعينيه والدموع تنهمر كالنار من عيني.

عمر أنا عمري قصرت معك في حاجة ؟

إيه السؤال الغريب ده ؟ مالك يا هبة ؟

أرجوك جاوبني ، أنا في يوم قصرت معك في واجباتك كزوج وحبيب ؟ في يوم حسيت فيه أني بعيدة عنك أو أني مش بحبك؟!

لأ طبعا يا حبيبتي ، ليه بتقولي كده ؟

إيه علاقتك بداليا يا عمر ؟
مين ؟ داليا ؟ .. مفيش علاقة طبعًا
عمر ، لو سمحت ما تكدبش ، أنا عرفت كل حاجة بس عاوزة أسمع منك الحكاية من بدايتها إيه علاقتك بداليا ؟
صمت عمر بضع ثوانٍ مروا عليَّ سنوات ، ثم استطرد بهدوء غريب كنت بعرفها قبل ما أقابلك

صدمة جوابه كانت كالصفعة على وجهي .

- من أمتى بالظبط ؟

من سنة أولى جامعة ، أتعرفت عليها لما سافرت مع منى في الصيف
وبعدين ، كمل
صاحبتها ، وبقيت كل إجازة تيجي لي ألمانيا ، لحد ما قابلتك فقطعت علاقتي بيها
أنت متأكد أنك قطعت علاقتك بيها ؟
أيوه طبعا
طبعا ؟ طيب ليه مقتنليش ؟
عشان مكنتش عاوز أخسرك ، وبعدين ده موضوع قديم هيهمك في إيه ؟!

قالها عمر باستهتار وبرود لم أعهده فيه من قبل

هيهمني فى إيه ؟! هيهمني عشان دي صاحبتي ومش بس صاحبتى دي كانت أكتر من أختي إزاي ما تقوليش على علاقتك بيها ؟
وبعدين هي ليه ما صارحتنيش لما سألتها بتحبك ولا لأ ؟
هبة ايه لازمة الأسئلة دي كلها ؟ ده موضوع قديم وانتهى.
معلش جاوبني للآخر.
عشان أنا قلت لها لو نطقت بكلمة هأفضحها وأوديها في داهية.
هتفضحها ؟
أيوه ، علاقتي بدانيا كانت علاقة صحوبية ، ومن أول يوم موعدتهاش بحاجة، وهي كانت عارفة ده كويس وكانت فاهمة أن أنا بأقضي معها وقت لطيف وبس، لكن عمرها ما كانت هتبقى مراتي ومكنتش هسمح لها تدمر حياتي وارتباطي بيكي مهما كان
أنا مش مصدقة إللي بسمعه، أنت عمر؟ أنت الإنسان إللي أنا حبيته؟!
أنت الإنسان إللي اتجوزته وعايشة معه بقالي ٣ سنين؟ عمرى ما افترقت عنك يوم، فين مبادئك ؟ فين أخلاقك ؟ بلاش فين إخلاصك؟

أنا حقيقي مش مصدقة نفسي أنا حاسة أني بحلم ، لأ ده مش حلم ده كابوس.
بطلي مثالية بقى، انا كنت شاب وعايش برا لوحدي وطبيعي أنه يكون ليا علاقات ، دي حاجة لا تعيبني ولا تخصك وأصلا إيه لازمته الكلام ده كله ؟ علاقتي بداليا كانت قبل ما أعرفك وأظن انه من حقي أعرف إللي انا عاوزه قبل ما أتجوزك.
مثالية ؟ بس أنت مفهمتنيش يا باشمهندس أنك كنت مقضيها على الآخر برا وعايش حياتك بالطول وبالعرض.
والله مش قضيتي أنك مكنتيش عارفة حاجة زي دي.
صح عندك حق ، أنا إللي غلطانة ، ويا ترى بقى الصور دي بردو كانت قبل ما تعرفني يا عمر ؟!

قلتها وأنا أرمى في وجهه صوره الجنسية مع داليا، وانا اشعر انني أمام إنسان لا أعرفه ولا تجمعني به أي علاقة ، شخص لم أكن أتصور يومًا ان يكون باطنه قذرًا بهذا الشكل ، كيف لم أشعر به ؟ كيف لم أكتشفه ؟ كيف لم أشك في تصرفاته؟ كيف ؟

التقط عمر الصور ونظر لها غاضبًا ، ثم رفع وجهه تجاهي وعينيه ينطلق منهم الغضب والشراسة بشكل لم أرَهما فيها من قبل ، جعلني أشعر لأول مرة بالخوف منه

أنتِ جبتي الصور دي منين ؟
مش مهم منين ، المهم أنك خنتني وكدبت عليا ، المهم انه في نفس الوقت إللي كنت بتقول لي فيه بحبك وما أقدرش أعيش من غيرك كنت بتخوني فيه مع داليا ، في عز ما كنت بتبقى نايم في حضني ، كنت بتجري تروح تنام في حضنها.

لقد كانت هذه أول مرة أرى فيها عمر أسود الوجه مكفهرًا، وعينيه تملؤهما القسوة والعنف، وأكاد أجزم أن قسمات وجهه تحولت لوحش مرعب ومخيف، يومها فقط عرفت أنني كنت أحيا مع شخص لا أعرفه، وأن الإحساس الغريب الذي كان يروادني لم يكن نابعًا من عقلي الباطن، وخوفي من الزواج وعدم الاعتياد على الحياة مع رجل ، بل كان نابعًا من الحقيقة الغائبة عني ؛ فأنا أمام شخص كان يقوم بالتمثيل عليَّ في كل وقت وكل لحظة ، ولكن ما لم أستطع فهمه حتى لحظة كتابة تلك السطور .. كيف استطاع أن يكذب عليَّ بهذه البراعة دون أن يخطئ ولو مرة واحدة ؟ كيف كنت عمياء وبلهاء لهذه الدرجة ؟ كيف لم أشك ولو للحظة أنه خائن وكاذب وعنيف بهذا الشكل ؟ كيف لم أكتشف وجهه الآخر ، فساد روحه وقسوة مشاعره ، هل لهذه الدرجة يجعلنا الحب مغيبين لا نرى أشياء كثيرة مرعبة في الأشخاص الذين نحبهم ؟

بقولك جبتيها منين ؟ انطقي
من داليا ، داليا جات هنا وادتهم لى وادتني ده كمان

أعطيته "السي دي" وأنا أرتعش من الحزن والخوف وعدم التصديق، فقد خدعني هذا الرجل ببراعة يحسد عليها ، هذا الرجل الذي أعطيته قلبي وحبي ومشاعري وجسدي، الرجل الذي كنت أظن أنني أول امرأة في حياته أول حبيبة ، وأول زوجة تملك جسده وقلبه، كما كان هو أول رجل يملكني ، لماذا دائما يعطي الرجل لنفسه الحق أن يخون زوجته وحبيبته بدمٍ بارد ولا يشعر بأي ندم أو تأنيب ضمير يذكر ؟ لماذا من حق الرجل أن يعربد كما يشاء قبل

الزواج ولا يسمح لأحد أن يحاسبه ؟! في حين أنني لو كنت أنا من أسلمت جسدي لغيره قبل الزواج باسم الحرية الشخصية لكان فضحني وشهر بي ، وربما قتلني ولن يعاقبه حتى القانون ، لماذا يعامل الرجل في مجتمعاتنا على أنه إنسان حر ، وتعامل المرأة على أنها عبدة ليس من حقها أن تثور لكرامتها وعزة نفسها ؟! إنه يقف أمامي بكل وقاحة يصرح لي بخيانته دون أي شعور بالندم أو الخجل بل على العكس تمامًا فهو يتشاجر معي باعتبار أنه ليس من شأني معاتبته على أفعاله المشينة مع صديقتي وغيرها ، لو كنت أنا مكانه لكان مزقني إربًا ، ووضعني تحت التراب موصومة بفضيحة كبرى لن يغفرها لي المجتمع حتى بعد موتي

إنني أشعر بالغضب والاشمئزاز منه ، ومن الحياة ومن المجتمع العفن الذى لا يحافظ على كرامة المرأة وعزة نفسها ، مجتمع يربي رجاله على التنقل بين أجساد النساء كما لو كانوا يبدلون ثيابهم ، مجتمع يصف المرأة التي يكون لها علاقات قبل الزواج أو المرأة التي تخون زوجها بالعاهرة ، في حين أنه يصف الرجل الذي تلبس بنفس حالتها بالرجل ذي الخبرة .. محبوب النساء ، مجتمع لا يحترم مبادئه ولا أخلاقه ولا عاداته حتى شرائع دينه لا يحترمها ولا يطبقها ، وها أنا ذا أمام رجل خائن كاذب فهل سيحاكمه المجتمع؟! لا أعتقد

أعتقد أنك عارف إيه إللي في "المي دي"، وأعتقد أنه كفاية لحد كده، أنا عاوزه أطلق

- إيه ؟ أنتِ بتقولي إيه ؟ أنتِ أتجننتي؟
- إللي سمعته يا عمر ، طلقني ودلوقتي ، كفاية لحد كدة ، أنا مش ممكن أعيش مع واحد خاين وكداب زيك
- لأ هتعيشي ، بمزاجك أو غصب عنك هتعيشي معايا .

هتجبرني أعيش معاك غصب عني ؟ أنت أكيد إنسان مجنون ومش طبيعي ، وأنا مش ممكن أكمل معاك مهما حصل، طلقني.

ده بعدك ، طلاق أنا مش هطلق ، احمدي ربنا أني لسه مخليكي على ذمتي وأنتِ ما بتخلفيش.

صفعة قوية ألجمت لساني كأنني تلقيت ألاف الصفعات دفعة واحدة، شعور رهيب بالقهر والحرقة وطعنة نافذة أصابت قلبي بعد ما قاله عمر لي ، يا الله على قسوة الدنيا، يعايرني بشيء لا يد لي فيه، ألا يكفيه خيانته الحقيرة لي ؟! يا الله !

ولما هو كده مخليني على ذمتك ليه يا عمر ؟ ما تطلقني وكل واحد يروح لحاله ، ليه تعيش مع واحدة زيي ما بتخلفش ؟ وتستحمل قرفها ؟ ليه ؟!

أهو مزاجي ، ولعلمك طلاق مش هطلق وهتجوز وأخلف وهعيش حياتي ، وأنتي هتفضلي على ذمتي غصب عنك ، وأعلى ما في خيالك اركبيه

خرج عمر مندفعًا دون حتى أن ينتظر مني رد أو يلتفت إليَّ، خرج وتركني مع صدمتي العنيفة في الرجل الذي أحببته وعشت معه سنين.

جلست على أقرب مقعد أمامي وأنا أشعر بدوار شديد ، ورأسي بها دق عنيف كما لو كانت مطرقة تدق عليها ، أشعر بألم يسحق ضلوع صدري في لحظة انهار كل شيء ، انهارت الحياة التي كنت أعتقد أنها كاملة ، انهار الحب الكبير الذي كنت أحمله بين طيات قلبي لرجل كنت أعتبره نعمة كبيرة في حياتي رفعت بصري أنظر في كل ارجاء المنزل الذي شهد لحظات حبنا ومرحنا وسعادتنا ، وحتى لحظات خوفنا وقلقنا ، إنني الآن أمام كارثة بكل المقاييس ، زوجي الذي أحببته أكثر من نفسي يخونني مع أقرب وأحب

صدمتاتي ، ليس هذا فقط بل يعايرني بعدم قدرتي على الإنجاب ، ويريد أن **يتزوج** وينجب أطفالاً ، والكارثة أنه يرفض أن يطلقني وأظهر لي شخصيته **الحقيرة** السادية التي كان يخبأها عني سنين طويلة ، ماذا أفعل ؟ كيف **أتصرف** ؟ كيف سأتخلص من هذا المريض ؟

يا الله ! أنا لا أصدق كل ما يحدث لي ، أشعر أنني بحق في كابوس ، يا الله ، أعطني الصبر والقدرة على الاحتمال ، والأهم من ذلك أن تعطيني الحل لأتخلص من ذلك الخائن العنيف

لم يعد أمامي سوى حل واحد ، هو أن أحزم امتعتي وأرحل عن هذا البيت ، البيت الذي شهد أجمل لحظات حياتي أنا وعمر ، وشهدَ أيضًا أتعس لحظاتي معه ، البيت الذي شهدَ بداية علاقتنا وزواجنا وحبنا وشهدَ أيضًا جرحي وإهانتي وفشلنا ، فأنا لم يعد بيني وبين هذا الشخص أي شيء يذكر ، ولن أستطيع مهما حاولت أن أسامحه أو حتى التعايش معه حفاظًا على المنزل الذى بنيته بحبي واهتمامي ، الحل الوحيد هو أن أستعين بأهلي للخلاص من هذا الزواج ، فأبي هو الوحيد القادر على الوقوف في وجه عمر ، وإقناعه أو حتى إرغامه على تطليقي ، فزوجي الحبيب لم يكتف بما سببه لي من جرح وشرخ عميق سيترك أثرًا خالدًا في قلبي ، بل أيضًا يريد أن يذلني أكثر وأنا لن أتحمل كل ذلك ، حقًا لن استطيع

عدتُ إلى بيت أهلي ورويت لهم كل ما حدث منذ البداية وحتى هذه اللحظة ، لا أستطيع أن أصف مدى صدمتهم في عمر ، فقد كانوا مثلي مخدوعين فيه تمامًا ، كان أبي يعتبره ابنه الذي لم ينجبه ، ووالدتى كانت تعتبره نعمة كبيرة رزقنا الله به ليحميني من الدنيا ومشاكلها ، وزاد حبهم له بعد موقفه البطولي معي في موضوع الإنجاب ، وكيف وقف بجانبي ولم

يتخلَّ عني ، بل انه وصل بهم الحال أن صاروا يوصونني أنا عليه وليس العكس !

***

الصحوة..

أشهر طويلة مرت عليّ لا أتذكر منها شيئًا ؛ فحالتي النفسية لم تكن تسمح لي بأن أتابع أي شيء من الأحداث أو حتى أهتم بالتفاصيل ، فقد دخلت في حالة من الحزن الشديد والاكتئاب كادت تفقدني صوابي ، فبعد أن كنت زوجة وحبيبة تعيش أجمل وأسعد أيام حياتها، وتعبُّ من نهر الحب الكؤوس، تحولت لصنم لا يغادر الفراش ولا يرى النور ، الدموع تملأ عيوني وروحي مسحوبة مني ، الأيام تمضي عليّ وأنا جالسة وحدي في غرفتي القديمة التي لم أكن أتوقع يومًا أنني سأعود لها مجروحة ومطعونة ومهزومة ، كان كل ما حولي يدور في سرعة غريبة وأنا خارج نطاق الزمن والحياة ، الساعات والدقائق واللحظات تمر وأنا لا أشعر بهم ، أريد التحدث ولكن لا أستطيع ، أريد الخروج ولا أعرف من أين المخرج ، حتى الدموع أبت أن تنزل من عيني كما لو كانت تريد البقاء في محبسها لتعذبني وتزيد من آلامي ويأسي ، طوال تلك الفترة وشريط ذكرياتي يمر أمام عيني وأنا لا أعلم ما حدث ولا كيف حدث ، لم أعد أعي شيئًا ، لم أعد أشعر بشيء سوى آلام حادة في صدري صارت ملازمة لي طوال فترة غيبوبتي ، حاول أبي وأمي كثيرًا أن يساعدونني في الخروج مما أنا فيه ، ولكنهم فشلوا فشلًا ذريعًا حتى استسلموا وأيقنوا أنني يجب أن أمرَّ بالتجربة وحدي حتى النهاية ، لا بديل عن ذلك

بعد عدة أشهر مرت عليّ وأنا في دنيا غير الدنيا ، استطعت أن أفق أخيرًا من كبوتي وتجربتي المريرة لأجد نفسي مطلَّقةً من عمر بعد صراعات طويلة ومباحثات لا تنتهي بين أهلي وأهله ، أعتقد أنها وصلت لحد التهديد من قِبَل أبي ، وهو ما جعل والد عمر يجبره على الطلاق حفاظًا على سمعتهم المصونة واسم العائلة ؛ فهم رجال أعمال مرموقين وسمعتهم تهمهم كثيرًا

حتى ولو كانت بالباطل

ومن الأخبار الرائعة التي حدثت وأنا في غيبوبتي أن عمر تزوج من داليا بعد أن عرف أنها تحمل في أحشائها ابنه وحفيد العائلة المصونة، فتزوجها وأقام زفافًا كبيرًا لها ، وابتاع لها فيلا جديدة لتكون بداية حياتهما معًا ، حقًا أنا لا أعلم هل فعل ذلك كيذا فيَّ أم حبًا فيها ؟ وأن شئتم الحقيقة فأنا لا اهتم كثيرًا إذا كان ما فعله كيذا أم رغبة حقيقية في أن يبدأ حياته معها بشكل طبيعي - خاصة وهي تحمل في أحشائها ابنه ، ولي العهد

لا أعلم لماذا لم أشعر بالحزن أو الغيرة بداخلي ، أو حتى الرغبة في الانتقام منهما ؟! ربما لأنني بعدما أفقت من كبوتي شعرت بمشاعر مختلفة وجديدة عليَّ تمامًا لم أشعر بها من قبل ، شعرت لأول مرة في حياتي أنني حرة وناضجة ، وجدت نفسي لأول مرة أنظر للعالم والحياة من منظور مختلف ، ومن زاوية أكبر من الزاوية الضيقة التي كنت مسجونة فيها ، بالرغم من أن عمر لم يقيد حريتي يومًا ، وبالرغم من رأي كل من عرفني بأنني ناضجة وعاقلة منذ صغري ، فإنني لم أشعر بهذه الحرية وهذا النضوج إلا في هذا الوقت

والسبب لا أعلم !

ربما لأنني في شهور عزلتي لم أكتف بالحزن على نفسي فقط ، بل فكرت في حياتي أيضًا ، منذ بدايتها وحتى تلك اللحظة التي وصلت إليها ، وأمعنت التفكير فيها - خاصة في فترة زواجي من عمر ، وسألت نفسي عدة أسئلة حاولت أن أكون فيها صريحة وأمينة مع نفسي إلى أقصى درجة ممكنة هل كنت أحب عمر بحق ؟ هل كنت سعيدة معه؟ هل كان من الأصلح لي أن لا أعلم ما يدور خلف ظهري بينه وبين داليا وأظل مخدوعة فيه وأكمل حياتي

معه على باطل ؟ هل كان ذلك سيسعدني ؟!

وجدت الإجابة بسيطة جدًا في حروفها ، لكنها كبيرة جدًا في محتواها لا ، لن أكون سعيدة وأنا مخدوعة في رجل عشت معه أربع سنوات من عمري بين خطوبة وزواج ، أتخيله شخصًا ثم اكتشفت أنه شخصًا آخر. نعم ، كنت أحب عمر ولا أنكر ذلك ، ولكنه ليس حب المرأة الناضجة بل حب الفتاة المراهقة التي لم تكن لها تجارب مع الحب قبله نعم ، كنت سعيدة ولكنها سعادة ناقصة ؛ فأنا لم أختبر شيئًا آخر في الحياة سوى الحب والزواج ؛ لم أعمل ، لم أسافر ، لم أكمل دراستي العليا والتي كانت حلم عمري ، لم أحتك بالناس أو أعاشرهم لأكتسب خبرات جديدة تعلمني كيف تدور الدنيا ، لم ألتقِ برجالٍ قبل عمر وأعرف كيف يدار عالمهم ، أنا لم أفعل شيئًا سوى أنني حبست نفسي في سجن عمر والذى أسميته طواعية " بيت الزوجية " ، دفنت أحلامي وطموحاتي بيدي ، وبيني وبين نفسي وبعيدًا عن عمر لم أسامح نفسي يومًا على ما فعلته بأحلامي وطموحاتي

هل كنت أريد أن أظل مخدوعة ؟! لا ، هذه الصفعة التي وجهت لي بالرغم من شدتها وقسوتها لكنها أنارت لي بصيرتي ، يوجد بداخلي الكثير لأفعله الكثير والكثير ، ولن اسمح لأي شخص أن يأخذ مني حلمي مجددًا أو يهيمن عليَّ باسم الحب أو الزواج ، أو باسم أي شيء آخر ، لقد اتخذت القرار ، أنا لن أوقف حياتي من أجل شخص مهما كان ، سأعمل وسأكمل دراستي العليا ، وسأبني كيانًا قويًا لنفسي لا يستطيع أحد هدمه أو تدميره في يوم من الأيام حتى الحب ، لن أقبل بأول رجل يقول لي أحبك ، دون أن أتأكد منه ومن حبه ، دون أن أتأكد أنه الشخص المناسب لي ، وأنه سيكون الحب الحقيقي والرجل الحقيقي في حياتي ، دون أن أختبر شخصيته وأتأكد أنه إنسانًا سويًا

يصلح أن يكون زوجًا وحبيبًا لن أسمح أن أكون فريسة سهلة المنال لرجل أناني لا يهمه سوى نفسه ، يدمر حياتي ويعبث بشخصيتي وأحلامي كما يريد ، فقد خلقني الله حرة ، وأعطاني العديد من النعم مثلي مثل الرجل ، فلماذا أسجن نفسي في سجن رجل لا يستحقني ، ولا يقدر قيمتي ولا يحبني بحق ؟! لماذا أهين نفسي في الوقت الذي كرّمني فيه الله - عز وجل – وعزّزني ؟!

الناس لا تحترم من لا يقدرون أنفسهم ، وأنا لن اقبل ان أكون يومًا امرأة ناقصة أمام عين رجل لا يقدر مشاعر المرأة ولا يعترف بقيمتها أو تضحياتها له.

كانت أولى خطواتي في طريق حياتي الجديدة هي البحث عن عمل أحبه، عمل يعبر عن ذاتي ، أشعر معه بكياني وقوتي ؛ فالعمل للمرأة والرجل عبادة وكيان وفي كثير من الأحيان دواء لجرح القلب والحياة بصفة عامة ، ولأنني كنت متفوقة أثناء دراستي الجامعية ، وكان من المفترض أن أكون معيدة لولا أنني تنازلت عن الوظيفة من أجل الزواج، لم أجد أي مشكلة في أن اذهب لأستاذتي في الجامعة وأصارحها برغبتي في الالتحاق بالعمل كمعيدة ، وأيضا بنيتي في أن أبدأ تحضير للتمهيدي ماجستير ، ووافقت أستاذتي ورحبت بشدة ، فقد كانت تحبني وتشجعني باستمرار على الاهتمام بدراستي وحزنت كثيرًا عندما عرفت أنني فرطت في مستقبلي المهني والأكاديمي من أجل الزواج ؛ لهذا ساعدتني بأن التحق بالعمل في جامعة القاهرة ، وبدأت بالفعل في الالتظام في العمل ، والدراسة على حدٍ سواء لأول مرة منذ فترة طويلة أشعر فيها بالحياة ، وأنني سعيدة ومتوازنة ، والأهم أنني بدأت في استعادة هبة القديمة ، هبة المتفائلة ، النشيطة ، العازمة

على تحقيق ذاتها مهما كلفها الأمر ، ونسيت تماما الثلاث سنوات التي أضعتها مع عمر في وهم صنعته أنا بداخلي اسمه الحب والوفاء

***

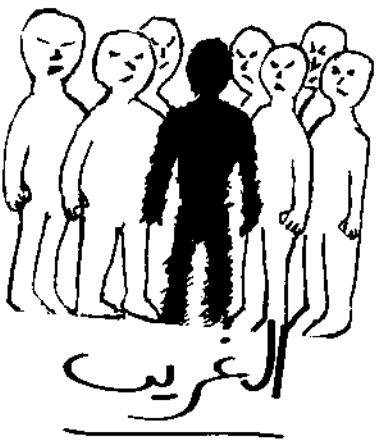

الغريب

أكتوبر ٢٠١٠

انتظمت سريعًا في العمل والدراسة وانشغلت فيهم لدرجة أنني لم أكن أشعر بالوقت يمر ، في تلك الأثناء كانت "منى" تحاول دائمًا الاتصال بي ولكنني لم أكن أجيبها ، أعلم أنها لم تخطئ في حقي وأنها لم تكن على دراية بما يفعله أخوها وصديقتنا المشتركة ، لكنني كنت أرغب في البعد عن أي إنسان يذكرني بعمر وحياتي القديمة على الأقل حتى أستعيد نفسي وتوازني ، ولأن منى صديقتي منذ ثمان سنواتٍ لم نفترق يومًا فقد تفهمت ذلك من تلقاء نفسها، ولكنها ظلت تتصل بي بين حين وآخر لتطمئن عليَّ من والدتي ، حتى جاء اليوم الذي اتصلت فيه بي كعادتها فأجبتها أنا ، تحادثنا طويلًا فنحن لم نفترق أبدًا منذ بداية صداقتنا ، واتفقنا على موعد نتقابل فيه لنتحدث قليلًا ونعوض ما فاتنا

تقابلنا يوم الجمعة في النادى القريب من بيتي ، كانت منى شديدة الخجل مني ولا تستطيع حتى النظر في عيني رغم أن بيني وبين نفسي كنت بالفعل قد نسيت كل شيء ، وعلى كل حال ما ذنبها هي ؟ فهي لم تقترف أي خطأ في حقي

إيه يا بنتي ، مالك ساكتة ليه ؟

ابتدرتها أنا بالسؤال محاولة تخفيف حدة توترها.

بصراحة مكسوفة منك ومش عارفة أقول لك إيه ؟ أنا كنت متأكدة أنك هتقطعي علاقتك بيا ، ومش هتعرفيني تاني.

ليه يعني ؟ وأنتي مالك ؟ أنتي هبلة يا منى ؟ أنتي صاحبتي الوحيدة وبنعرف بعض بقالنا ٨ سنين ، يا بنتي احنا عشرة ، وبعدين أنتي ذنبك إيه في إللي عمله أخوكي ؟

أديكي قلتيها أخوكي

يا ستي أنا نسيت الموضوع ده خلاص وبدأت من جديد ومن هنا ورايح أنتي صاحبتي وأختي وبس !

ربنا يخليكي ليا يا هبة ، أقسم بالله أنا مكنتش أعرف أي حاجة من إللي بتحصل حتى لما داليا سافرت معايا ألمانيا في إجازة الصيف في أولى جامعة ، كانوا الاتنين قصادي عادي جدًا وبيتعاملوا مع بعض طبيعي جدًا

لأ ، ما هو أنتي أخوكي ممثل قدير

ده أنا إللي عشت معاه ٣ سنين جواز وسنة خطوبة ما حسيتش بحاجة ، هتحسى أنتى ؟! يلا الحمد لله على كل شيء ، ربنا يسهل لهم بعيد عننا

طيب بس كان في حاجة عاوزة أقولها لك

خير

بس من غير زعل

هههههه لأ اطمني ، أنا نحست خلاص ، قولي في إيه ؟!

عمر ودداليا اتجوزوا ، وداليا حامل وعلى وش ولادة

هو ده بقى الخبر الفظيع إللي خايفة تقوليه لي ؟ ما أنا عارفة الكلام ده كله ومن زمان كمان

عارفة منين ؟

بابا قال لي

طيب يعني أنتي مش زعلانة ؟

- يعني كانوا بينامو مع بعض من سنة أولى ، وجابت لى سى دى

وصور وبلاوي سودا ، ومع ذلك خلاص نسيت وكبرت دماغي ، يبقى لما يتجوزوا مش هكون عادي ؟ وعارفة كمان أن عصر عمل لها فرح كبير ، وجاب لها فيلا وخادمين يخدموها ومامتك وباباكي أهدوها عربية آخر موديل بمناسبة الحمل والحفيد إللي هيشرف

تمام ، ده أنتي عندك الأخبار كلها بقى

يعني ، أصلها حاجات ما تستخباش

طيب سؤال يعني هو أنا ليه حاسة أنك فرحانة ومش فارق معكي ؟!

وهزعل ليه يا منى ؟ إللي حصل ده كانت نتيجة طبيعية جدًا للعلاقة إللي بينهم ، ما هى مش هتفضل عشيقته طول العمر ومتنسيش أنها حامل كمان ، يعنى ولى العهد هيشرف قريب يعني طبيعي كل ده يحصل ، وبعدين يا ستي ربنا بيدي كل واحد على قد نيته

أنا مش فاهمة حاجة بصراحة

مش لازم ، قولي لي هتتجوزي أمتى أنتي وأستاذ إبراهيم ، ولا هتفضوها خطوبة إلى الأبد ؟

حجزنا في يناير الجاي إن شاء الله ، يعني كمان تلات أشهر.

مبروك ، أخيرًا طيب يعني أجهز نفسي خلاص ؟

أكيد طبعًا ، حقيقي أخبار الشغل إيه والدراسة ؟

تمام الحمد لله ، بقالي شهر ونص منتظمة من بداية الترم الأول، حقيقي أنا مانكرش أني مفحوتة في الشغل والمذاكرة والأبحاث بس سعيدة جدًا فوق ما تتخيلي ، حاسة أني واحدة جديدة أو تقدري تقولي هبة إللي كان بقالي سنين مفتقداها .

يعني مرتاحة يا هبة ؟

الحمد لله مرتاحة جدًا

قلتها لمنى وأنا أبتسم ابتسامة راحة حقيقية ؛ فقد كنت بالفعل أشعر أنني حية ، أتنفس حرية وتفاؤل

يا رب دايما يا هبة المهم متنسيش تجهزي نفسك عشان الحنة هتبقى قبل الفرح على طول ، يعنى النهارده الحنة وبكرة الفرح ، يعنى تجهزي نفسك ، ويا ريت تخلي عندك شوية دم واشوفك على طول مش أقعد بالشهور مشوفكيش

حاضر يا ستي أنا تحت أمرك

طيب ، أنا لازم أمشي دلوقت عشان عندي مذاكرة كتير ، على تليفونات بقى.

أوك سلام

سلام

رحلتْ تاركة "منى" في حيرة لا تستطيع أخفائها ، فعينيها تنطق بها، إنها تريد أن تعرف الأسباب وراء عدم حزني وعدم استيائي بعد علمي أن داليا حامل من عمر ؛ فهي تعلم جيدًا كم كنت أحب عمر ، وكيف كان موضوع عدم انجابي يؤلمني بشدة بل ويكاد يقتلني داخليًا ، ولكن ما لا تعلمه منى أن الأقدار كانت تدّخر لي من عمر وداليا بشكل لا يتخيله ولا يتصوره بشر

استيقظت صباحًا وأعددت نفسي للذهاب إلى الجامعة كعادتي كل يوم سبت لأحضر محاضرة الأدب المقارن ، والتى أعشقها عشقًا جمًا ، عندما رن جرس هاتفي المحمول حاملًا رقمًا غريبًا لم أميزه ، واستغربت كثيرًا لذلك، فقد كان أول شيء فعلته بعد صحوتي من كبوتي وغيبوبتي الزمنية هو

تغيير أرقامي وإيميلاتي حتى لا يزعجني أحد من حياتي السابقة مع عمر ، أو حتى لا يزعجني عمر نفسه ، وبالطبع لم أعطِ رقمي الجديد إلا لدائرة محدودة ومغلقة من معارفي وأصدقائي ، ونبهت عليهم جميعًا بعدم اعطائه لأحد غريب أو قريب دون علمي

ظل الهاتف يرن باستماتة غريبة ومزعجة جعلتني أرد حتى أسكته

ألو مدام هبة رؤوف ؟

جاءني صوت رجل على الطرف الثاني.

أيوة أنا ، مين حضرتك ؟

أنا باشمهندس أدهم عبد الرحمن

آه أهلًا وسهلًا خير إن شاء الله ؟

حضرتك متعرفنيش بس أنا أعرفك كويس ، وكنت عاوز أتكلم معاك في موضوع مهم ، يا ريت لو معندكيش مانع أقابلك النهارده

أيوه بس أنا معرفش حضرتك مين ، ولا عارفة الموضوع إللي أنت عاوزني فيه ؟ طيب إيه الموضوع بالظبط ؟

موضوع مينفعش أتكلم فيه في التليفون بس هو مهم ويخصك.

مش عارفة أقول إيه لحضرتك بصراحة طيب مفيش مشكلة ، ممكن تعدي عليا في جامعة القاهرة كلية الآداب قسم اللغة الألمانية ، قول لهم عاوز المعيدة هبة رؤوف هيدلوك عليا.

تمام الساعة كام ؟

الساعة ١١ إن شاء الله

- تمام ١١ بالظبط هأكون عند حضرتك ، سلام .

سلام

أغلقت الهاتف وأسئلة كثيرة تتصارع في ذهني ، من هذا الرجل ؟ ومن أين يعرفني ؟ ولماذا يريد مقابلتي ؟ ومن أين حصل على رقمي ؟ وما هو الموضوع المهم الخاص بي ولا يستطيع أن يقوله لى في الهاتف ؟

" غريبة قوي ، يا ترى مين ده وعاوز إيه ؟ يارب يكون خير ، أنا مش حمل بلاوي جديدة " ، قلتها وأنا أنظر في ساعتي ، يا الله لقد تأخرت ، لملمت أشيائي سريعا، وذهبت للجامعة وحضرت محاضرتي، وفي تمام الساعة الحادية عشرة ظهرًا وجدت مديحة مسئولة النظافة في القسم تستأذنني في الدخول

استاذة هية في واحد برا بيسأل على حضرتك ؟

مين يا مديحة ؟

واحد اسمه الباشمهندس أدهم عبد الرحمن

آه صحيح ، هى الساعة بقيت ١١ ؟

آه

طيب دخليه ، واستنى شوفيه هيشرب إيه ؟

حاضر

خرجت مديحة تنادي على المهندس أدهم ليدخل ، في حين وقفت أنا لأستقبله عندما فوجئت برجل في منتصف الثلاثينيات ، طويل القامة عريض المنكبين، شعره أسود لامع ، قمحي البشرة ، عيونه سوداء واسعة وقسمات وجهه حادة إلا أنها جميلة ومتناسقة ، يرتدي بذلة رمادية قاتمة وقميص أسود ، كان بكل مقاييس الكلمة رجلًا وسيمًا وفي منتهى الجاذبية ، يجذب الانتباه إلى أقصى درجة ، إلا أنني لم أشعر بالراحة لدى رؤيته ، لماذا ؟ .. لا أعلم ، ولكن هذا

ما شعرت به وقتها

مدام هبة أتعشم أني مكنش اتأخرت عليكي

لأ بالعكس ، حضرتك جاي في ميعادك مظبوط ، اتفضل

تحب تشرب إيه ؟

ولا أي حاجة

لأ مينفعش ، لازم تشرب حاجة

ممكن قهوة مظبوط .

قهوة مظبوط يا مديحة الله يخليكى ، وكوباية مايه بسرعة

خرجت مديحة مسرعة لتأتينا بالطلبات ثم عادت حاملة كوب القهوة المظبوط والماء ، في حين جلست أنا أمام هذا الغريب أنتظر ما يحمله لي في طيات قلبه

أحب أعرفك بنفسي أنا أدهم عبد الرحمن ، مهندس إنشاءات في ألمانيا ، وعندي مكتب هناك

آه أهلا وسهلا تشرفنا ، خير ، أقدر أفيد حضرتك إزاي ؟

أنا جاي لك بخصوص داليا الشافعي ، وطليق حضرتك عمر شاهين.

تسمرت قليلا في مكاني واشمئز وجهي من السيرة ؛ فداليا وعمر آخر شخصين أريد سماع أسماءهما في حياتي

نعم ؟ حضرتك جاي عشان مين ؟

أنا جاي لك بخصوص أكتر اتنين جرحوكي وجرحوني في الدنيا دي.

- هو حضرتك جاي ليه ، وعاوز إيه بالظبط ؟!

قلتها بنفاذ صبر ؛ فقد بدأت أفقد أعصابي وأغضب من هذا الغريب ، فأنا أخيرًا وبعد عذاب استطعت أن أبدأ حياتي من جديد ، متغاضية تمامًا عن كل ما هو سيئ وجارح خارجها ، ناسية الماضي بآلامه وأحزانه وحتى أفراحه ، لأفاجأ بهذا الشخص يقتحم حياتي وعالمي الهادئ جالبًا معه ذكرى أكثر اثنين جرحوني وأهانونني في الدنيا.

أنا اتعرفت على داليا من حوالي ٣ سنين في ألمانيا بعد ما اتخرجت من الجامعة ، وحضرتك كنتي اتجوزتي المهندس عمر ، كانت مجروحة ومتهانة وحزينة ، وقفت جنبها وخففت عنها ومش هكدب عليكي ، حبيتها ، وطول الثلاث سنين إللي فاتوا كنت فاكرها هي كمان بتحبني، لحد ما اتفاجئت أنها رجعت مصر من كام شهر ، لأ وإيه اتجوزت المهندس عمر وحامل وعلى وش ولادة ، طبعا صدمتي فيها كانت كبيرة جدًا خاصة أنها ضحكت عليا سنين طويلة، مفهماني أنها قطعت علاقتها به تمامًا ، وهي في الحقيقة كانت طول الوقت بتشوفه وبتقابله وبتنام معه كمان

آه ، طيب وأنا مالي بكل الكلام ده ؟

أرجوكي تصبري عليا يا مدام هبة وهتفهمي كل حاجة . في يوم جالي واحد صاحبي كنت عرفته على داليا باعتبار أنها هتكون مراتي في المستقبل ، جالي وادائي مجموعة سيديهات وصور وطلب مني أسامحه . بيني وبينك أنا مفهمتش أسامحه على إيه، المهم شوفت السيديهات والصور ، واكتشفت أن الهانم كانت مقضياها حلو قوي مش بس مع عمر ، لأ كمان مع صاحبي ، وهو إللي ساعدها في تصوير السي دي الجنسي ليها مع عمر إللي

ورتهولك والصور ، وكانت السبب في طلاقك.

بردو أنا مش فاهمة ، أنا مالي بكل ده ؟

إللي هي ما تعرفهوش أن صاحبي زى ما صورها مع عمر، صورها كمان مع نفسه ، تقريبًا صور كل لقاءتهم ، أصله مصور فوتوغرافيا وفيديو محترف

بردو حضرتك مجاوبتنيش على سؤالي ، أنا مالي بكل ده ؟

أنا وأنتي أكتر اتنين اتأذينا من داليا وعمر ، أنتي اتخدعتي في الراجل إللي حبتيه واتجوزتيه ، وأنا أتخدعت في الإنسانة إللي كنت بأعمل كل حاجة عشان أسعدها ، حتى الشقة إللي كانت بتخونني فيها شقتي أنا ، كنت جيبها لها

وبعدين ؟

ولا قبلين ، السيديهات إللي معايا والصور كفيلة أنها تفضحها وتكشفها قدام المغفل إللي هي متجوزة

أنت عاوز تنتقم يعني ؟

أيوة ، عاوز أفضحه وأفضحها

طيب أنا مالي بردو بكل ده ؟ ما حضرتك روح انتقم منهم براحتك أنا داخلي إيه ؟

أنا عاوزك تساعديني

اساعدك إزاي ؟

انتي كنتي متجوزة عمر سنين ، وأكتر واحدة عارفة معارفه وأصدقاءه وأهله ، وعارفة شركائه في الشغل ورجال الأعمال إللي

بيتعامل معهم، يعني هتسهلي عليا كتير قوي وفي نفس الوقت تنتقمي لنفسك منه ومنها،أنا عاوز أبعت السيديهات دي لكل واحد يعرفهم

أمممم

إيه رأيك ؟

أستاذ أدهم ، حضرتك عاوز الصراحة ولا الكذب ؟

أكيد الصراحة

أنا مش شايفة أي سبب للي أنت عاوز تعمله ، لو على الانتقام فهو منتهى الأنتقام أنهم هما الاتنين أتجوزوا بعض ، الاتنين زبالة زي بعض ، هي منحلة وكانت ماشية على حل شعرها ، وهو خاين وكداب وأهو أبتلي بواحدة هتخلي سمعته في الأرض، بكرا تخونه مع واحد من أصحابه أو شركائه في الشغل . واحد غيرك المفروض يبوس إيديه وش وضهر أنها عملت معاك كدة قبل ما تتجوزها ، وتحمل اسمك بدل ما كانت فضحتك وخلت سمعتك سيئة أنت شاب ومهندس وناجح ، بكرا تقابل بنت ناس محترمة أحسن من دي ألف مرة ، تتجوزها وتبني أسرة وحياة سعيدة معها، وبعدين في حاجة تانية حضرتك مش واخد بالك منها خالص

إيه هي ؟

إللي أنت ناوي تعمله ده مش هيفضحهم هما بس ، أنت هتسبب في أذية ناس تانية ملهاش اي ذنب ، زي منى أخته ، دي صاحبتي من زمان وبنت محترمة جدًا ، وعلى وش جواز وإللي أنت هتعمله ده هيدمر لها حياتها ، ذنبها هي إيه أن أخوها خاين وكداب ؟ تتحمل نتيجة أخطائه هو ليه ؟ ومش بس كده احنا كمان سمعتنا هتدمر أنا

وأنت ، الناس هتقول مش ده عمر شاهين رجل الأعمال إللي كان متجوز فلانة الفلانية وسابها وخانها مع صاحبتها إللي كانت بتعرف فلان الفلاني وقصتنا بقى هتبقى على كل لسان ، وحديث للمجتمع والصحافة الصفرا ويوه على الفضايح إللي هنشوفها ، هتبقى فضيحتنا بجلاجل وسمعتنا هتدمر ، والنار إللي المفروض تحرقهم هما في الحقيقة هتحرقنا احنا . وبعدين أنا عاوزة أسأل حضرتك سؤال ، بعد إذنك يعني

اتفضلي

هو سؤال شخصي بس أنا عاوزة إجابة صريحة عليه

اتفضلي اسألي إللي أنتي عاوزاه

هو علاقة حضرتك بداليا كانت زي علاقة داليا بصاحبك وعمر ولا إيه ؟ يعني آسفة كنت بتنام معها ؟

أنا مش من الرجالة إللي تنام مع ست قبل الزواج ، وتفكر تتجوزها بعد كده

طيب تمام يعني الحمد لله ، احمد ربنا بقى أن ربنا نجاك من واحدة زي دي

ديه مثالية ، ولا إيه بالظبط يا مدام هبة ؟

لا أبدًا مش مثالية ولا حاجة .. ده واقع ؛ هما الاتنين أحقر من أن الواحد ينزل للمستوى ده في التفكير ، وزي ما بأقول لك مش هما إللي هيتأذوا ، ناس تانية ملهمش أي ذنب هما إللي هيتأذوا ، ده بالإضافة لينا احنا طبعًا وبعدين اسمح لي يعني يا أستاذ أدهم ، داليا ما تستاهلش أنك تنتقم منها ، دي شخصية منحلة ما تستاهلش أصلًا

أنك تفكر فيها ، ولا تزعل عليها حتى.

مش عارف أقول لك إيه ؟ جوايا إحساسين مختلفين ، إحساس بيقول لي أسمع كلامك ، وإحساس تاني بيحثني على الانتقام .

أستاذ أدهم ، قبل ما تعمل أي حاجة فكر في الناس إللي هتتأذي من غير ذنب ، بلاش .. فكر هتستفيد إيه ؟ صدقني ولا حاجة ، عمر الانتقام ما كان بيحل حاجة ، بالعكس ده بيكسر جوانا حاجات كتيرة قوي ، بيحولنا لوحوش ، إللي أنت عاوز تعمله هيخلينا من ناس محترمين اتأذوا من ناس أنذال وخاينين لناس أحقر وأكثر بشاعة منهم ، في حين أنك لو فكرت شوية صدقني احنا المفروض نشكرهم أنهم عملوا فينا كل ده عشان نكتشفهم بدل ما كنا نفضل مصدقين أنهم ملايكة ، وهم في الحقيقة شياطين !

يعني ده رأيك وقرارك النهائي ؟

آه طبعا

طيب أنا محتاج وقت أفكر فيه ، أنا مضطر استأذن دلوقت ، وآسف إذا كنت أزعجتك

لا ، أبدا مفيش داعي للأسف ، اتفضل

رحل أدهم تاركًا بداخلي مشاعر كثيرة مختلطة وحائرة ، كيف كانت داليا بكل هذا الانحلال الأخلاقي ولم يظهر عليها أبدًا ؟ كيف استطاع الاثنين خداعنا بمثل تلك البراعة ؟ كيف لم يظهر عليهم أي شيء ؟

يا الله ، أنا حقيقي مش مصدقة كل إللي بيحصل ده ، لاحول ولا قوة إلا بالله ، الصبر من عندك يا رب .

الحلم

كنت أقف وحيدة ، حزينة ، مكسورة في مكان مجهول ، وأنا أتلفت حولي لا أعلم أين أنا أو لماذا أبكي حاولت السير وأنا أتلمس طريقي بصعوبة وسط عتمة الليل ؛ فهذه أول مرة أجد ليل كاحل دون قمر ، لمحت في آخر الطريق رجلًا وامرأة لم أتبينهم في بادئ الأمر ولكن عندما اقتربت منهما قليلًا إذا بي أكتشف أنهم عمر وداليا ، يقفان وجهًا لوجه ، يحتضن كل منهم الآخر وينظران إليّ نظرة قاسية مملوءة بالاستهزاء والسخرية

فجأة شعرت بألم شديد في يدي ، نظرت لكفّي يدي وجدتهما ينزفان بشدة ، وتخترقهما ورود حمراء مثل الخناجر ، هنا شعرت بألم لا يطاق وخوف ورعب من جراء هذا المنظر المخيف ، صرخت بشدة وأنا أسمع صدى ضحكات عمر وداليا يرن في أذني ، يؤلمني بشدة . وفجأة برز أدهم من العدم وتقدم نحوي ، نزع الورود من يدي ، والغريب أنني لم اشعر بأي ألم يذكر عند نزعهم ؛ ثم أخرج من جيبه منديلًا أبيض حرير ، مسح به الدم الذي كان يملأ كفيّ ، والتأم الجرح كأن لم يكن

رفعت وجهي لأشكره ، لم أجده ولم أجد عمر ولا داليا ، التفتُّ حول نفسي أبحث عنهم عندها وجدت ضوءًا من بعيد يتسلل لينير الليل الكاحل ، رفعت وجهي للسماء وجدت القمر بدرًا ينير السماء بضوئه الجميل ، استيقظت من حلمي الغريب على صوت هاتفي المحمول يرن باستماتة

ألو ، أيوه مين ؟

أستاذة هبة، أنا أدهم، آسف لو كنت أزعجتك أنتي كنتي نايمة ؟

آه ، كنت تعبانة شوية فنمت

أنا آسف أني صحيتك

- لأ عادي ولا يهمك ، خير في حاجة ؟

أنا فكرت في كلامك ، أنتي عندك حق في إللي قلتيه ، أنا مش عارف إزاي فكرت أعمل كده أنتي كان عندك حق في كل إللي قلتيه

طيب كويس أنك صرفت نظر عن الكلام إللي قلته لي ، أنا سعيدة أن ده قرارك

طيب أنا قاعد في القاهرة شوية ممكن أبقى أكلمك ؟ يعني طبعًا ده لو ما يضايقيش

لأ عادي ، أنا تحت أمرك في أي وقت

تمام أشوفك على خير ، سلام

سلام

أغلقت الهاتف وأنا أفكر في حلمي ، ومكالمة أدهم وتوقيتها الغريب وطلبه الأخير في أن يظل على تواصل معي ، ظل كل ما حدث لي منذ اكتشافي لخيانة عمر حتى هذه اللحظة لغزا لا أفهم معناه ، ولا أستطيع سبر أغواره كان بداخلي دائمًا شعور عجيب ، إنها ليست النهاية بل على العكس تمامًا ؛ فكل ما حدث لي وكل ما يحدث حتى الآن هو بداية لأحداث جديدة ستعلن عن نفسها قريبًا ، ولا أعلم كيف ستكون طبيعة هذه الأحداث ، ولا كيف سأواجهها ، إلا أنني كنت متأكدة أنها ستكون فارقة في حياتي ، وهو ما أكده لي حلمي الغريب

تنهدتُ بعمق ودخلت شرفة غرفتي لأستنشق بعض هواء الليل ، لعله ينعشني قليلًا ويذهب عني توتري وقلقي ، فقد كنتُ في حاجة إليه لتهدئة أعصابي بعد الحلم الذي روادني ولم أستطع استخلاص ما يعنيه، إلا أنني وجدت نفسي أتذكر الحديث الذي دار بيني وبين أدهم صباحًا ، وأسترجع

جميع المعلومات التي قالها لي عن داليا وعمر؛ استغربت كثيرًا كيف يتحول الإنسان من شخص لآخر في مدة زمنية قصيرة ، وفي كثير من الأحيان نجده يعيش بشخصيتين مختلفتين ومتناقضتين في آنٍ واحد !

لقد عاشرت داليا لمدة أربع سنوات كاملة ، كانت فيهما مثالًا للفتاة الجميلة الرقيقة المهذبة المحترمة ، كيف تحولت بهذا الشكل من فتاة برينة لفتاة منحلة تتنقل بين أيدي الرجال وتلعب بمشاعر هذا وتواعد هذا دون أن تكتشف ، ودون أن يؤنبها ضميرها ؟! كيف أصبحت بهذا الخبث واللؤم فجأة ؟ أم كانت هكذا طوال الوقت ، وكانت تقوم بتمثيل دور الفتاة البريئة الصالحة ؟

وعمر الرجل الذي أحبته لمدة أربع سنوات كاملة ، وعاشرته ثلاث سنوات كنت فيها الزوجة والحبيبة والعشيقة ، وكان هو بالنسبة لي كل شيء ، لم أفترق عنه يومًا ، لم يتركني لحظة ، كيف استطاع خداعي كل تلك السنوات بهذه البراعة ، دون أن ينكشف أو يخطئ مرة واحدة ؟ كيف ؟!

لقد قرأت كثيرًا عن دواخل النفس البشرية المعقدة التي ما زالت حتى الآن لغزًا يحير العلماء ، إلا أنني لم أكن أتصور أنها بهذا التعقيد والتناقض الفظيع الذى يجعل شخصين كنت أعتقد أنني أعلم عنهما كل شيء ، وعشت معهما سنوات طويلة ، شاهدتهما في كل الحالات النفسية المختلفة الحزينة منها والسعيدة والغاضبة والمتوترة ، ورغم ذلك لم أكتشف يومًا أنهما يعيشان بيننا بوجهين مختلفين تمامًا ، وأنني كنت في منتهى السذاجة والغفلة

أغلقت عيني وأقنعت نفسي أن كل ذلك أصبح ماضيًا الآن ، ولا يجب أن أنشغل به أو أفكر فيه مجددًا ، إلا أنني لم أكن أتوقع أن الأيام القادمة ستجيب على جميع تساؤلاتي واستفساراتي بشكل عجيب وغير متوقع تمامًا

اندمجت مجددًا في العمل والدراسة ، كانا يأخذان كل وقتي تقريبًا عندما

هاتفني أدهم للمرة الثالثة في أقل من أسبوع معلنًا رغبته في مقابلتي ليتكلم معي في أمرٍ هام. لا أعرف لماذا وافقت على مقابلته ؛ فأنا لا أعتقد أنه يوجد كلام بيننا إلا أنني كنت وعدته سابقًا أنه ما من مشكلة في التواصل معي ؛ لذلك ذهبت لمقابلته في النادي القريب من منزلي

صباح الخير اتأخرت عليك ؟

لأ أبدًا ميعادك مظبوط جدًا ، اتفضلي

شكرًا

كان أدهم مختلفًا هذه المرة ، كان يرتدي قميصًا أبيض وبنطلون جينز أزرق، وحذاء رياضي . كان وجهه بشوشًا خلاف المرة السابقة ، جلست أمامه في حين خلع هو نظارته الشمسية وثبت عيونه في عيوني. لأول مرة ألاحظ قوة نظراته وجمال عينيه السودواتين ، ووجدت نفسي دون وعي أتساءل كيف تركت داليا رجلًا في وسامة أدهم لأجل عمر ؟! لا أنكر أن عمر كان وسيمًا ، ولكنه لا يقارن بهذا الأدهم إطلاقًا ، وهنا لم أستطع كتم ضحكتي التي لاحظها أدهم

بتضحكي ليه ؟ في حاجة ؟

لأ خالص ، بس افتكرت حاجة كده ضحكتني معلش آسفة

لأ عادى ، ولا يهمك تشربي إيه ؟

كمان شوية ، خير يا باشمهندس أنت كنت عاوزني في موضوع إيه؟

خير ، أنا بس كان في سؤال بيدور في ذهني

اتفضل

المرة إللي فاتت بعد ما سبت حضرتك ، وقعدت مع نفسي وافتكرت مناقشتنا كلها حسيت بحاجة بس مش عارف إذا كان إحساسي صح

ولا لأ !

حاست بإيه يا باشمهندس ؟

حاست أن في حاجة أنتي مخبياها عن الكل ، محتفظة بيها لنفسك ومش عاوزة تقولى لحد عليها.

حاجة زي إيه ؟

مش عارف ، بس إللي أكد لي الإحساس ده ثقتك القوية وأنتي بتأكدي لي أن ربنا بينتقم من الاتنين وبيخلص تارنا منهم من غير ما نتعب

عادى يعني اتنين خونة اتجوزوا بعض ، في انتقام أكبر من كده ؟!

صمت أدهم قليلا وهو لا يبعد عينيه عن عيني حتى أنني شعرت به يخترق أعماقي ؛ مما دفعني للنظر بعيدًا عنه ، إلا أنه استمر في النظر إللي بعمق وهو يستطرد

أستاذة هبة ، أنا عندي ٣٧ سنة ، وباشتغل من وأنا عندي ١٧سنة ، اتمرمطت واتبهدلت عشان أبني نفسي ، مش معقولة بعد العمر ده كله حد يقدر يضحك عليا

والله ؟! أعتقد أن في واحدة ضحكت عليك ٣ سنين تقريبًا ، ولا أنا غلطانة ؟!

لأول مرة أشعر أنني أصبحت فظة وغليظة في تعاملاتي مع الناس ، فهذه هي أول مرة أوجه إهانة لشخص ، لقد اسودَّ وجه أدهم ، وذهبت بشاشة وجهه إلى غير رجعة ، وأوما برأسه وهو يتمتم في خفوت

- عندك حق ، أنتي صح يا مدام هبة ، بعد إذنك .

قالها وهو ينهض ويتركني وحيدة متلعثمة ، لا أعرف ماذا أقول أو كيف أعتذر

عدت إلى المنزل في قمة غضبي من نفسي ومن حدتي التي لاحظها جميع من حولي ؛ فالتجربة المريرة التي مررت بها جعلتني حادة الطباع ، ضيقة الخلق وسريعة الغضب برغم محاولاتي العديدة لتهدئة نفسي والرجوع إلى سابق عهدي إلا أنني فشلت فشل ذريع في ذلك الأمر ، وها أنا ذا أهنت شخصًا لم يهينني قط ، ولا أعلم هل سيقبل اعتذاري أم لا

حاولت الاتصال به مرارًا إلا أن هاتفه كان مرة خارج الخدمة ، ومرة أخرى مغلقًا . لم يكن أمامي حل سوى أن اترك له رسالة صوتية أعتذر له فيها عن اندفاعي وإهانتي له . لم أكن أتوقع ردًا منه إلا أنني فوجئت به يتصل بي في حوالي العاشرة مساءً بعد عدة ساعات من التوتر والغضب من نفسي ، والحقيقة أنا لم أعرف سببًا لغضبي الشديد من نفسي ، لماذا أنا حزينة هكذا لأنني أهنته ؟! لا أعلم ، ولكن هذا ما حدث

ألو باشمهندس أدهم

إزيك يا أستاذة هبة ؟

الحمد لله ، أنا آسفة جدًا ، أنا بجد مش عارفة إزاي كلمتك بالوقاحة دي أرجوك سامحني

حصل خير أنتي عندك حق ، هى بس الحقيقة صدمتني شوية ، بس أنتي عندك حق أنا فعلًا بعد كل السنين دي أضحك عليا من واحدة برغم أنها ما كانتش أول واحدة في حياتي ، بس حقيقي مش عارف إزاي قدرت تضحك عليا بالبراعة دي سنين طويلة

- مش أنت لوحدك على فكرة ، كلنا في الهوا سوا أرجوك ما

تحسسنيش بتأنيب الضمير

صدقيني خلاص ، بجد مش زعلان ، بس ده ميمنعش أني لسه عند رأيي أنك في حاجة مخبياها

طيب يعني هترتاح لو قلت لك آه

هرتاح لو قلتي لي إيه هي

لأ ، ديه مقدرش أقولها

ممكن أعرف السبب ؟

عشان ... يعني لو اتكلمت هتبقي أزمة كبيرة ، وكده كده خلاص ده موضوع قديم وصفحة واتقفلت ، ليه أرجع أفتحها تاني ؟! وزي ما قلت لك مش هما اللي هيتأذوا ، بالعكس احنا اللي هنتأذي ، وأنا مخبيش عليك مبقاش فيا نفس أتجرح وأتوجع تاني أنا ربنا نجاني المرة اللي فاتت باعجوبة ، معتقدش كل مرة تسلم الجرة

طيب أنا مش هغصب عليك ، بس أعتقد أنك بعد ما زعلتيني النهارده ، وبعد ما أكتشفت أنه في سر مش عاوزة تقوليلي عليه من حقي أنك تعوضيني وتوافقي على عزومتي ليكي على الغدا بكرا إن شاء الله

ده ابتزاز بقى ؟

يعني تقدري تقولي حاجة زي كده

قالها أدهم وهو يضحك بمرح حقيقي ، جعلني أنا أيضًا أضحك من قلبي لأول مرة منذ فترة طويلة لم أختبر هذا الشعور بالمرح

تعددت فيما بعد بيننا اللقاءات والمكالمات الهاتفية ، وأصبحنا بشكل سريع أصدقاء مقربين ، لا نفترق ولو ليوم واحد ، حتى عندما اضطر أدهم للسفر

لألمانيا لمباشرة أعماله هناك كان يهاتفني يوميًا بالساعات . لقد تقربنا بشكل كبير ومخيف ، وفي مدة زمنية قصيرة ، إلا أنني شعرت تجاه أدهم بمشاعر قوية وعميقة ، لم أعرف كيف أمنعها ، ولم أعرف كيف أصنفها في حينها ، لكن كل ما أستطيع قوله إنها كانت مشاعر جميلة وهادئة ومختلفة تمامًا عن شعوري بعمر

هل كان حبًا ؟! لا أعلم ، لكن كل ما أثق فيه أننا صرنا نشعر أن وجود كل منا في حياة الآخر ضرورة ، وسبب قوي لبقائه على قيد الحياة ، وهو في الحقيقة شعور أقوى وأعمق من الحب

كان أهم ما جمعنا هي صراحتنا ؛ فقد روى لي أدهم كل شيء عن نفسه، كيف سافر مع أهله إلى ألمانيا في سن صغيرة لا يتعدى العشر سنوات ، وكيف أصبح يتيم الأم في سن الثالثة عشرة ، ثم يتيم الأب في الثامنة عشرة ، وكيف اعتمد على ذاته في الدراسة والعمل ، وبدأ من الصفر حتى أصبح مهندس إنشاءات ناجح ولديه مكتب هندسي كبير خاص به هناك ، وكيف تعرف على داليا في مقهى مخصص للمصريين في برلين ، عندما وجدها محطمة ومنهارة نفسيًا بعد علمها أنني وعمر تزوجنا ، وأن ما جذبه إليها أنها مثله يتيمة الأب والأم

أنا أيضا رويت له كل شيء عن حياتي منذ تعرفت على عمر ، وحتى هذه اللحظة لم أخفِ عنه شيئًا ، فقد كنت أعلم أن ما بيننا لم يعد صداقة فقط ، وكنت على يقين أنني إن أردت لهذه العلاقة النجاح يجب أن أتفادى أخطاء الماضي ، يجب أن أعرف عن أدهم كل شيء ، وهو أيضًا يجب أن يعرف عني كل شيء . ولكن ما كان يقلقني هو إلحاح أدهم في معرفة السر وراء ثقتي أن أكبر انتقام من الممكن أن يحدث لعمر وداليا قد حدث بالفعل إنه

يريد معرفة الأمر باستماتة وإلحاح رهيب ، وأنا لا أستطيع البوح به مهما كانت الأسباب ؛ فقد كنت أعلم أنني إذا أفشيت هذا السر ستفتح أبواب جهنم ، وأنا كنت أريد الابتعاد عن أي مشاكل قد يسببها الماضي ؛ فأنا لا استطيع تحمل آلام وجروح جديدة. يكفيني ما تعرضت له

لكن ما لم أكن أعلمه أن مخاوفي كانت في محلها ، وأن الأيام القادمة كان القدر يرتب لها بشكل لا أستطيع مجابهته أو حتى تخيله في أسوأ كوابيسي .

هية

نعم

أنتي مش ناوية تقولي لي السر إللي مخبياه عني بقى ؟!

ياه يا أدهم ، أنت مبتزهقش من الموضوع ده

لأ ميزهقش، احنا مش اتفقنا أننا منخبيش حاجة عن بعض؟ ليه بقى مخبية الموضوع ده ؟!

عشان موضوع قديم ، وصدقني ميهمكش في أي حاجة نهائي.

خلاص ، أنا مش هضغط عليكي ، بس لو حبيتي تغيري رأيك وتثقي فيا أنا موجود

إيه لازمته الكلام ده ؟! أنا طبعًا بثق فيك ، أمال بقابلك وبكلمك إزاي ، بس حقيقي الموضوع ده كبير ، ومينفعش أقوله لأي إنسان حتى لو كان أنت ، فأرجوك يا أدهم متضغطش عليا، وثق تمامًا أنه ميخصنيش أنا ، ولا يمسك أنت في شيء

أمري لله ، ماشي

شكرًا ليك بجد

- طيب يا ستي ، في موضوع تاني مهم عاوز أكلمك فيه .

اتفضل

احنا هنفضل كده لحد امتى ؟

مش فاهمة

اقترب أدهم مني وحمل يدي بين يديه في رقة وعذوبة ، وثبت نظره في عيني واستطرد

هبة ، أنتي عارفة كويس قوي إحساسي ناحيتك أنا بصراحة بحبك وعاوز أكون جانبك ومبعدش عنك لحظة ، وعاوز أبتدي معاكي حياتي

لأول مرة أشعر أنني مضطربة وخائفة وسعيدة في آنٍ واحد ، مشاعر مختلفة ومتناقضة لكنها حقيقية

أدهم ، أنت مش شايف أنك متسرع قوي ، احنا مبقلناش كام شهر نعرف بعض !

صح ، بس في الكام شهر دول عرفت عنك وعرفتي عني ، إللي ممكن نعيش سنين ومنعرفهوش عن بعض ، أنا بحبك وأعتقد أنك أنتي كمان بتبادليني نفس الشعور ، يبقى ليه نفضل بعاد عن بعض ؟!

طيب أنت فكرت كويس في إللي أنت بتقوله ده ؟!

آه طبعًا ، وكل حاجة جاهزة أنا اشتريت شقة هنا في المعادي وبشطبها وقربت تخلص ، وبعد كده أنتي تنزلي تختاري العفش إللي يعجبك وتفرشيها زي ما تحبي ، ده غير بيتي إللي في ألمانيا جاهز ومستنيكي تشرفيه ، وأنا والحمد لله مستعد أتجوزك دلوقت صحتي تمام وظروفي المادية ميسورة ، آه أنا صحيح مش غني زي طلقيك

بس الحمد لله هعيشك مرتاحة

مين قال لك أنه يهمني أنك تكون غني ؟! .. صحيح أنا أحب أني أعيش مرتاحة ، بس مش ده المقياس اللي يخليني أرتبط بيك ، ما أنا كنت متجوزة واحد غني عمل فيا إيه ؟ أنا اللي يهمني يا أدهم أنك تكون الراجل اللي أنا عاوزاه ، تكون الإنسان اللي ينفع أبني معه حياة وبيت آمن ومستقر ، الراجل اللي أحس أنه هيكون ضهر ليا ، وهيساعدني ويشجعني على النجاح والتقدم ، هيشجعني على الحياة نفسها ده المهم بالنسبة لي ، مش أنك تكون غني ، المهم عندي تكون الراجل اللي يقدر حبي ومشاعري ويحافظ عليا

وأنتي عندك شك في ده ؟

لحد دلوقت لأ ، بس

بس إيه ؟!

بس في حاجة معرفش أنت هتتقبلها إزاي أو بمعنى أدق ممكن تخليك تغير رأيك تمامًا

حاجة إيه دي ؟!

أنت تعرف أني ميخلفش ؟

آه أعرف

فوجئت بجواب أدهم ؛ فمن أين له معرفة هذا الأمر ؟!

وأنت تعرف منين ؟

ضحك أدهم ضحكة مجلجلة ، وهو ينظر لي غير مصدق سؤالي

هبة ، حقيقي مش مصدق أنك بتسألي السؤال ده ، يعني أنتي متوقعة أني هحب واحدة ، وأبقى عاوز أتجوزها وأنا معرفش عنها كل

حاجة ؟! لا يلدغ المرء من جحر مرتين يا عزيزتي ! سألت عليكي طبقا وعرفت عنك كل حاجة

لا والله ؟! أول مرة أعرف الموضوع ده

طبيعي أني أسأل عليكي وأعرف عنك وعن عيلتك كل حاجة هبة ، أنا حبيت واحدة وفضلت ٣ سنين متوقع أنها بتحبني ومخلصة ليا ، وأني كل حاجة في حياتها ، نمت وصحيت لقيتها سافرت مصر وأوهمتني أن مصر وحشتها ، وأنها بتزور جدتها وجدها اللي وحشوها يا عيني ! .. وفي أقل من شهرين بعد ما اتسبيت في طلاقك من جوزك اتجوزته ، وادتني أحلى قلم على وشي عايزاني أعمل إيه ؟! لازم آخد احتياطاتي بعد كده لأني حقيقي اتجرحت وحسيت بالإهانة ، واضحك عليا واللي وجعني أكتر أني معرفتش آخد حقي لا منها ولا منه الحاجة الوحيدة اللي هدت أعصابي في الموضوع ده أني طلعت بيكي أنتي ، حسيت أن ربنا بيقول لي ما تزعلش أديني عوضتك خير عن كل اللي حصل لك فأرجوكي ما تزعليش مني لكن حقيقي ده كان غصب عني ، زي ما أنتي مبقاش فيكي قدرة على تحمل ألم أو جرح جديد أنا كمان نفس الشيء ، مش عشان راجل يعني يبقى معنديش دم ؛ لأ أنا بتألم وبتوجع ، على الأقل الستات بتعيط ، لكن الرجالة بتكتم في نفسها فتخيلي بقى مقدار الألم .

على الرغم من عدم حبي لطريقة أدهم الاستخباراتية في السؤال عني لأنني بالفعل لم أخف عنه شيئًا ، إلا أنني وجدت نفسي داخليًا أعذره فيما قام به ، فأنا أيضًا شعرت بالمهانة والجرح ، شعرت بأنني ساذجة ومغفلة وأضعت

من عمري سنين مع أشخاص لم يكونوا يستحقون مني نظرة ، لا حياة كاملة خلاص أنا مش زعلانة ، أنت بس فاجأتني ، بس أنت عندك حق أنني كمان لازم تسألي عني ، وتتأكدى أني لا بكدب عليكي ولا خبيت عنك شيء ؛ لأني حقيقي يا هبة عاوز اسعدك

أممم ، طيب وموضوع الخلفة مش فارق معاك ؟

مش هكدب عليكي وأقول لك مش فارق ؛ لأن حلم اي راجل أنه يكون عنده ذرية ، بس أنا عاوز ذريتي منك ، ولو ربنا مكرمناش يبقى الحمد لله على كل شيء

أنت مثالي ولا بتضحك عليا ؟! أصل أنا في واحد زمان قالي الكلام ده وبعدين عايرني أني مبخلفش

هتغاضى عن أنك شبهتيني به ، بس هقولك حاجة تفهميها كويس ، أنا مفيش حد غصبني على شيء ، أنا بقولك بكامل إرادتي إني بحبك وعاوز أتجوزك ، وموضوع الأولاد هنسيبه لربنا ، أنتي لا ضربتيني على إيدي ولا جبرتيني على شيء ، وبعدين أنا مش الراجل إللي يعاير واحدة ست مهما كانت الأسباب

أدهم ، متزعلش مني أنا مش قصدي أجرحك ؛ بس أنا أتوجعت أوى وحقيقي مش هستحمل أتوجع مرة تانية

عارف يا هبة ، وأنا مش هحلف أني عمري ما هعمل فيكي كدة ، أنا هسيب الأيام هي إللي تثبت لك ده

مش عارفة يا أدهم ، بس بردو حابة أن احنا نصبر شوية لحد ما نعرف بعض أكثر ، متنساش أني لسه خارجة من تجربة صعبة لسه مأثرة فيا وتعباني .

أنتى لسه بتحبيه ؟

إيه ؟! لأ طبعا ، أنت بتهزر ؟! حب إيه ؟! أنا بس عاوزة آخد وقتي في التفكير ومنستعجلش ، أنا مبقاليش كام شهر مطلقة طيب إيه رأيك في خطوبة الأول ؟

يا الله يا أدهم !

ما هو بصي ، أنا مسافر ألمانيا الأسبوع إللي جاي ومش هسافر غير ودبلتك في إيدي ، هو كده ، قلتي إيه ؟

لم أعرف بماذا أجيبه ، فقلبي يحثني على الموافقة ، فأنا أحب أدهم وتعلقت به، واعتدت وجوده في حياتي ، بل أصبح مصدر سعادتي وبهجتي في هذه الحياة ، وعقلي يحثني على الانتظار وعدم التسرع حتى لا أتأذى مرة أخرى؛ فأنا لم أعد أستطيع تحمل المزيد من الصدمات ، لكن وبرغم كل شيء قلبي غلبني للمرة الثانية

موافقة

قلتي إيه ؟!

موافقة يا أدهم ، خلاص بقى

قلتها وأنا أحاول أن أتحاشى النظر إليه ، فبرغم أن عقلي ما زال يؤنبني على تسرعي إلا أن قلبي يرقص فرحا ، فهذا الحب له مذاق مختلف وجميل يدغدغ أعصابي وكل حواسي ، ولأول مرة من شهور طويلة أشعر بالسعادة الحقيقية، والحب ، والحياة

***

الحب
مرجددا

مرت الأيام هادئة ، وتمت خطبتي على أدهم في حفل ضيق ضم أهلي وبعض أقاربنا ، وبعض الأصدقاء المقربين مني .. منهم منى وخطيبها إبراهيم ، والتي صدمت عندما صارحتها بأنه ستتم خطبتي على أدهم ، وبأنني رضيت بالخطبة بالفعل بهذه السرعة . رويت لها كل شيء عن علاقتي بأدهم ، وكيف تقابلنا، وكيف أحببنا بعضنا بعض دون الخوض في التفاصيل التى ذكرها أدهم عن داليا

كانت الحفلة صغيرة بخلاف حفل خطبتي السابقة على عمر ، إلا أنني كنت أشعر بدفء وسعادة لا مثيل لهما . يومها تأكدت أنني لم أكن أحب عمر ، ربما كنت منبهرة به أو معجبة بنجاحه وشخصيته التي رسمها رسمًا ، لكن حب حقيقي لا ؛ فما أشعر به تجاه أدهم الآن وهو يجلس بجانبي ويمسك يدي ويضع دبلته في أصبعي شعور لا تستطيع الكلمات وصفه سعادة ، وخوف من ضياعه مني ، وحب يملأ كياني ، شعور بالحياة والتفاؤل ، وإقبال على الحياة والمستقبل

ظلت عيون أدهم معلقة بي طوال فترة الحفل ، ومن حين إلى آخر يقترب مني ويهمس بكلمات حب وشعر في أذني . كانت أول مرة أعلم فيها أنه شاعر ، ويجيد كتابة الأشعار والخواطر

لم أكن في الحقيقة من الشخصيات التي تؤمن بأن الإنسان قد يحظى بفرصة ثانية في الحياة حتى تعرفت على أدهم ، فأيقنت أن الله أراد تعويضي عما حدث لي من إهانة وجرح ؛ بأن رزقني بأدهم ليصالحني على الحياة والدنيا ، أنا أيضًا كنت بالنسبة له فرصة ثانية ليلتئم جرح قلبه فقد جمعنا الجرح ، وأصلحنا الحب

ولكنني لاحظت صمت منى المريب وشرودها الغريب وتوترها في بادئ

الأمر اعتقدت أنها حزينة لأنني ارتبطت برجل آخر غير أخيها ، فرغم كل شيء منى كانت تعشق عمر عشقًا ، ولكنني رفضت هذا الاحتمال لسبب بسيط ؛ أن عمر هو من خان وهو من أوصلنا لما نحن فيه الآن لا ، لا يمكن أن يكون هذا هو السبب ، ربما بسبب تحضيرات الزفاف ، فقد كان زفافها بعد أسبوعين ، وكانت حنتها قبل الزفاف بيوم واحد فقط، إلا أنه من المنطقي أن تكون سعيدة لا شاردة وحزينة هكذا !

شعرت بالقلق الشديد عليها ، قررت أن أواجهها وأحاول معرفة ما بها ، خاصة أن خطيبها إبراهيم أيضًا يبدو عليه الشرود والتوتر ؛ مما أكد لي أن ثمة أمرٍ ما غير طبيعي يحدث أخذتها لشرفة الصالة بعيدًا عن الناس والمدعوين لأعرف ما بها وأتكلم معها بهدوء

منى ، مالك أنتي ساكتة وباين عليكي مضايقة في إيه ؟

ولا حاجة يا هبة ، أنا بس تعبانة ، أنتي عارفة تجهيزات الفرح والحنة بقى ، والوقت مش سامح وكده يعني

منى

نعم

ما تكدبيش عليا ، مالك بجد ؟ أنتي متخانقة مع إبراهيم ولا حاجة ؟!

تنهدت منى في حنق ونظرت إليّ بعيون يغمرها الحزن والألم

مش مع إبراهيم يا هبة

أمال مع مين ؟!

عمر

عمر ؟ ماله عمر ؟!

- من ساعة طلاقكم ، وجوازه من داليا وهو حاله لا يسر عدو ولا

حبيب

إزاي يعني ؟!

أولًا بقى عصبي جدًا ومن أى كلمة يتنرفز ويدور ضرب وشتيمة في إللي حواليه ، وتكسير في البيت . داليا بيمسكها يعجنها ضرب ، وقبل ما تولد كان هيموتها ، أكلها علقة موت ، حالته بقت صعبة جدًا أهمل شغله وحياته وبقى شكله غريب ؛ بقى شرس جدًا وعنيف بشكل رهيب اتحول يا هبة لشخص سادي بصورة رهيبة

وقفت عاجزة عن الرد لا أعرف بماذا أجيبها فما كانت منى ترويه رأيت أنا جانبًا منه يوم زراتني داليا وعرفت منها خيانتها هى وعمر لي، رغم أنني رأيت جانبًا بسيطًا من شراسته إلا أنني ارتعدت خوفًا منه، فما بالك بما ترويه منى الآن ؟!

طيب طنط وأونكل إيه موقفهم ؟ يعني محدش فيهم بيحاول يتكلم معه أو يعرضه على دكتور نفساني أو حاجة ؟

بابا وماما بيحاولوا يهدوه ويتكلموا معه بس مفيش فايدة

صمتت منى مترددة كما لو كانت لا تعرف كيف تكمل كلامها ، كما لو كان لديها ما تعجز عن تفسيره أو قوله

مالك يا منى ، سكتي مرة واحدة ليه ؟!

نظرت لي منى وعيونها حائرة تائهة ، كما لو كانت لا تعرف كيف تبدأ أومن أين

مش عارفة يا هبة ، أنا حاسة أن بابا وماما عارفين حاجة عن عمر وساكتين

- حاجة زى إيه ؟!

مش عارفة زي ما يكونوا عارفين حالة العنف إللي بتجي له ، وأنها كانت بتجي له من زمان من قبل ما تتجوزوا مثلًا

وأنتي ليه بتقولي كده ؟

لأنهم مش متفاجئين ، بالعكس بيتعاملوا معه كما لو كان إللي بيحصل ده عادي ومتعودين عليه

مش عارفة أقول لك إيه يا منى ، بس أكيد دي حالة وهتمر ، وهو هيرجع لطبيعته قريب المهم أنتي تركزي في حنتك وفرحك إللي كمان أسبوعين متقلقيش بقى

إن شاء الله أنتي هتيجي الحنة والفرح صح ؟ ولا أدهم مش هيرضى ؟!

لأ ، جاية إن شاء الله ، أدهم مش هيرضى ليه يعني ؟!

يعني عشان عمر ودواليا وكده

لأ اطمئني ، أدهم عارف عمق صداقتنا ، وعارف أن استحالة أفوت يوم حنتك ولا يوم فرحك

هو مش هيجي معكي ؟

لأ ، أدهم مسافر كمان يومين ألمانيا ، وهيقعد شهر هناك وبعدين ينزل أسبوع ، وبعدين يرجع يسافر وهكذا

أنتي هتقعدي هنا بعد الجواز ولا هتسافري ؟

والله يا منى معرفش لسه ، بس في الغالب برا ، أنا اتفقت معه أن الجواز إن شاء الله يبقى بعد ما أخلص تمهيدي الماجستير بعد كدة نتجوز ، وبعدين بقى أكمل الماجستير والدكتوراه برا مثلًا ، يعني ربنا يسهل .

بتحبيه يا هبة ؟

أقول لك بس متزعليش ؟!

آه ، قولي

جدًا يا منى ، بحبه فوق ما تتخيلي ، عارفة أنا كنت فاكرة أني بحب عمر ، وكنت فاكرة أني مش ممكن أحب بعده أو أبص حتى لراجل غيره ، بس لما قابلت أدهم ومن تاني مرة قابلته فيها حسيت أن قلبي راح معه ، حسيت لأول مرة أني بذوق الحب بطعم مختلف طعم فيه وعي واحترام وثقة وتقدير أحاسيس مش قادرة أوصفها غير أنها أحاسيس دافية عمري ما حاسيتها ولا قابلتها قبل كده ، كل واحد فينا عارف التاني كويس كأننا عارفين بعض من سنين ، بنحترم بعض وبنقدر بعض وبنخاف على بعض . كل واحد فينا حاسس قوي بالتاني وخايف عليه وعلى مشاعره ، كل واحد فينا بيحاول يعالج التاني من آلامه وجراحه وأوجاعه ، حقيقي يا منى أدهم الراجل إللي أنا كنت بحلم به حتى من قبل ما أقابل عمر ، راجل بجد في كلامه وتصرفاته وأخلاقه ومشاعره ، وده إللي أنا كنت بتمناه والحمد لله أتحقق أنا حقيقي سعيدة جدًا ، وفعلا عاوزة أبني معه حياة هادية بجد ، بعيدة عن كل المشاكل والأزمات إللي مرينا بيها

بعد أن أنهيت حديثي نظرت إليّ منى برقة وعذوبة ، وابتسمت لي بحب شديد، فقد كانت منى الأخت التي لم أحظَ بها يومًا ، ولكنني لاحظت أنها تنظر خلفي وتضحك بشقاوة ، ألتفتُ لأرى ما يضحكها ، وجدت أدهم واقفًا خلفي مستندًا على مدخل الشرفة ، عاقدًا ذراعيه على صدره وناظرًا إليّ بعين تملؤها الشقاوة والمرح ، مثبتًا نظره في عيني ، ثم تقدم نحوي واضعًا يديه

على خصري ويميل عليّ هامسًا

يعني كان لازم أسمعك بالصدفة وأنتي بتقولي أنك بتحبيني ؟!

توترت بشدة وشعرت بالدماء والحرارة تنفجر في وجهي من الموقف برمته

أدهم ، بطّل بس كسفتني

أبطّل إيه ؟! .. دي أسعد لحظات عمري ، إللي أسمعك فيها بتقولي أنك بتحبيني ، أنا كمان بحبك أوى يا هبة ، صحيح انا معرفتكيش غير من كام شهر بس، لكن صدقيني إحساسي بيكي أعمق وأقوى ، وكأني أعرفك من سنين ، كأنك أتولدتي مخصوص عشاني ، عشان تعوضيني عن وحدتي ويتمي وغربتي . طيب أقول لك على حاجة بس تصدقيني

قول يا أدهم

أنا حاسس أن ربنا بعتك ليا عشان يصالحني على الدنيا ، الدنيا إللي ياما جرحتني وحرمتني من ناس كتيرة حبتهم .

عند هذه اللحظة لم أعد أشعر بما يجرى حولي ، كأن الناس والحفل وكل شيء تلاشى من حولي ، لم يعد باقي سواي .. وأدهم ، ذلك الرجل الذى اقتحم عالمي بعد جرح قلبي وإهانتي ومروري بتجربة مريرة يعلم الله وحده كيف خرجت منها ، ليأتي هو ويعطيني الأمل مجددًا بعد أن اعتقدت أنني فقدته للأبد ، ذلك الأمل الذي من أجله يستطيع الإنسان القيام بالمستحيل دون الشعور بالألم أو الخوف من المستقبل والمجهول ، إنه الأمل في الحب والسعادة والحياة ، إنني الآن أمامه أسبح في بحر عينيه لا أهاب المستقبل ولا أخاف المجهول كيف أخاف وأنا مع رجل يحيطني بدفء حبه وروعة مشاعره . نعم ، أحبه وأشعر بحبه يملؤني ثقة في الغد ، كم أريد أن ارتمي

في أحضانه وأنهل من خمر حبه.

كما لو كان أدهم شعر بما أفكر فيه ، اقترب مني أكثر ورفع يدي إلى شفتيه وطبع قبلة ما زلت أشعر بحرارتها ، وعمقها حتى هذه اللحظة لم تكن قبلة عادية بل كانت قبلة الهبت عواطفي وأحرقت أحاسيسي بقوة عشقه.

أقول لك أنا كمان على حاجة ؟

قولي

أنت أجمل حاجة ممكن تحصل لأي واحدة في الدنيا ، أنت مش بس صالحتني على الدنيا ، أنت صالحتني على نفسي كمان

ظلت عيوننا تتجاذب أطراف الحديث ، وتقول ما لا تستطيع شفاهنا قوله أو ترجمته بالكلمات

لم نفق من وصلة عشقنا إلا عندما تنحنحت منى في خجل ، نظرنا لها كأننا أول مرة نلاحظ وجودها معنا في الشرفة ضحكنا سويًا ثم خرجنا مجددًا للمدعوين لنستكمل الحفل ، ضحكنا ورقصنا ولأول مرة منذ فترة طويلة نضحك جميعًا من قلوبنا بعد أن أثقلتنا الهموم والمشاكل لدرجة أفقدتنا طعم الفرحة الحقيقية في حياتنا انتهى الحفل ونحن نعتقد أن همومنا انتهت عند هذا الحد ، ألا إننا لم نكن ندرك أن الأيام القادمة تخبئ لنا الكثير والكثير

لا أستطيع أن أنكر أنه بالرغم من فرحتي وسعادتي الطاغية بخطبتي من أدهم إلا أن النوم خاصم جفوني طوال الليل بعد ما سمعته من منى عن عمر وأحواله ، ووجدت الأسئلة تتقافز إلى ذهني في سرعة غريبة هل كان عمر يعاني من خلل نفسي أو كانت تصيبه نوبات عنف دون أن أعرف ؟ هل كانت عائلته على دراية بالأمر أم كانت تجهله ؟ هل خيانته لي كانت نتيجة مرض نفسي يعاني منه أم أنه أصيب بهذه الحالة النفسية السيئة بسبب فراقه

لي وطلاقنا ؟ أسئلة كثيرة دارت في ذهني ليلتها إلا انني لم أستطع أن أجد لها إجابة ، وشعرت لأول مرة أنني كنت أعيش في دوامة كبيرة لا أعلم عنها شيئًا ، ألغاز كثيرة وأشياء غريبة حدثت وتحدث كل يوم وأنا كنت في غفلة عنها ، لم ألاحظ شيئًا مريبًا في وقتها ، والآن صرت أسمع أخبار غريبة أكدت لي أنني كنت أحيا في سبات عميق

سافر أدهم غير راضٍ تمامًا عن ذهابي لحنة وزفاف منى ؛ فبرغم معرفته لعمق صداقتي بمنى وثقته في استطاعتي مواجهة أي موقف قد أتعرض له هناك ، إلا أنه كان قلقًا بشدة من ذهابي لمنزل عائلة عمر ، ورؤيته هو أو داليا زوجته برغم أنني لم أرو له ما قالته منى لي عن حالة عمر النفسية ، والأوضاع الغريبة التي أصبح عليها ، إلا أنني حاولت تخفيف الأمر ، وإقناعه أنني سأذهب لقضاء الواجب ولن أطيل البقاء ، فقط ساهنئ منى وإبراهيم بفرحتهم وأرحل ، وبالفعل جاء يوم حنة منى ، ووجدت نفسي دون سبب واضح أو مفهوم لي أرتدي أجمل فساتيني ، وأتزين كما لو كنت أنا العروس لم افهم سبب ما أفعله وما أريد إثباته ، فأنا لم يعد يشغلني إثارة غيرة عمر أو داليا خاصة بعد دخول الحب مجددًا حياتي متمثلا في أدهم ، ولكنني أردت أن أثبت للجميع أنني استعدت نفسي وحياتي ومستقبلي ، أنني صرت إنسانًا جديدًا ، قوية أحيا حياتي بشكل مختلف ، وأبدأ من جديد متناسية تمامًا التجربة المريرة التي مررتُ بها

وقفت أمام المرآة مندهشة مما أفعله ، لقد صرت أكتشف جوانب في شخصيتي لم أكن أعلم أنها موجودة قبل ذلك ، لم أعد هبة الفتاة البسيطة الطيبة التي كانت تقبل الإساءة والجرح وتصمت ؛ فأنا الآن وبالرغم مما عرفته عن علاقة عمر وداليا السيئة إلا أنني داخليًا أردت أن أظهر أمامهم

بمظهر المرأة السعيدة القوية التي تعيش قصة حب جميلة وتسيطر على حياتها وتعمل على بناء مستقبلها ، أردت إيصال رسالة مهمة وقوية لهم إنكم لم تستطيعوا تدميري أو كسري ، بل على العكس تمامًا ما قمتم به أفادني وعلمني الكثير وغيرني للأقوى والأحسن ، وها أنا الآن أمامكم في أبهى صوري ، امرأة قوية تعيش الحب وتبني للغد ، ولا تنظر للخلف ولا يهمها أطلال الماضي

بدأ الحفل الساعة السابعة مساءً في منزل عائلة منى . كان العريس وأصدقائه وأقارب العروسين من الرجال يحتفلون في الحديقة ، بينما صديقات العروس وأقاربها وأقارب العريس من النساء يحتفلن ويرقصن ويرسمن الحناء على أيديهن وأرجلهن داخل المنزل كعادة حفلات الحنة في مصر

وقفت خارج أسوار الفيلا لبعض الوقت أراقب الموقف من بعيد ؛ كنت بحق لا أريد مواجهة عمر وداليا بصرف النظر عن قوتي ، وعن تغيير شخصيتي القديمة ، وأنني بالفعل لم يعد يشغل بالي ما حدث في السابق ؛ فقد تغلبت على هذا الأمر منذ فترة طويلة ، إلا أنني داخليًا وبعيدًا عن أي حساسية لم أكن محبذة لفكرة رؤية عمر أو داليا ؛ فأنا بطبعي أشمئز من الخيانة ، فما بالك بمن كذب وخان وخدع وغدر

إنهم لم يتركوا شيئًا بذيئًا وجارحًا دون أن يفعلوه ، أخذت نفسًا عميقًا وأخرجته بهدوء وكررت الأمر عدة مرات حتى هدأت أعصابي ثم فتحت بوابة الفيلا ودخلت .

***

الصدمة!

كانت الحديقة مزينة بالكامل بأضواء كريستالية صغيرة ، وبالونات من جميع الألوان والأشكال ، ورسم كبير على شكل قلب من الورود البيضاء والحمراء وبداخلهم اسم منى وإبراهيم . الموائد تصطف جنبًا إلى جنب على شكل دائري جميل مغطاة بمفارش بيضاء حريرية مزينة بشرائط ذهبية كانت الحديقة بالفعل قد تحولت لقاعة أفراح جميلة وراقية ، وكان الشباب يرقصون على نغمات الموسيقى الصاخبة ويمازحون إبراهيم الضاحك من قلبه في سعادة ؛ فقد كانت منى حب عمره ، كما كان هو أيضا حب عمرها ، لقد كانا ثنائيًا يدعو للتفاؤل والسعادة

اقتربت منه وباركت له الفرح ، وتمنيت له السعادة مع منى في حياتهم الجديدة عندما شعرت بعيون تراقبني في ثبات وقوة ، دققت النظر في الشخص الجالس بجانب إبراهيم وصدمت ،إن هذا المسخ هو عمر طليقي نحف بشدة لدرجة أن عظام وجهه برزت بشكل أعطاه مظهرًا مخيفًا ، أصبحت عيناه كالبئر السحيق يحيطها السواد والإرهاق ، لقد كبر عن عمره أكثر من عشرين عامًا لا أستطيع أن أصف صدمتي لدى رؤيته هكذا ، والسؤال الذي ظل يلح عليَّ حينها لماذا ؟! لماذا أصبح هكذا ؟ ما الذى حوله لهذا الشيخ وهو ما زال في ريعان الشباب ؟! لم يفقني من شرودي وصدمتي سوى حديثه معي

إزيك يا هبة ؟

الحمد لله إزيك أنت يا عمر ؟

زي ما أنتي شايفة ، في أحسن حالتي !

قالها عمر وهو يضحك في سخرية حزينة جعلتني أشعر بالشفقة والحزن عليه ، فقبل كل شيء لقد كانت تجمعني به أيام سعيدة ولحظات لا أستطيع محوها

الحمد لله ، طيب عن إذنكم هدخل عشان أبارك للعروسة

استدرت مسرعةً قبل أن أعطيه الفرصة ليسترسل معي في الحديث، فقد كنت بالفعل غير راغبة في تبادل الحديث معه ، فلم يعد بيننا ما يقال - خاصة أنه من فعل بنفسه ذلك ، لا أنا

تنهدت بعمق وحاولت تمالك أعصابي والسيطرة على الرعشة التي أصابتني دخلت إلى بهو الفيلا الذي كان مزينًا بالزينات والبالونات البيضاء ، كانت منى تجلس في وسط البهو أمامها سيدة تجلس أرضًا وترسم لها الحناء على يديها وقدميها . كم هي جميلة في زيها البدوي والجميع من حولها يرقصن ويمرحن في فرح وسعادة فرحين بالعروس الجميلة . كم كنت أحب منى ليس لأنها صديقتي الوحيدة ولكن لأنها كانت الصديقة الوحيدة الوفية ليا ، التي كانت وما زالت دائمًا تفهمني دون أن أتحدث ، تشعر بي من نظرة عيني ، تفرح لفرحي وتحزن وتكتئب لحزني لقد كانت منى بالفعل هدية من الله - سبحانه وتعالى -وأعترف أن لولا وجودها في حياتي لكانت حياتي صعبة وكئيبة ولا تحتمل

توجهت صوبها وأنا أرسم ضحكة كبيرة صافية على وجهي ، وأحاول أنا أقاوم دموعي حتي لا تنزل وتفسد زينتي ، فأنا أشعر أن ابنتي هي من تتزوج اليوم وليست صديقتي أقبلت عليها فتهلل وجهها فرحًا برؤيتي احتضنتها بقوة ، فأخيرًا وبعد مدة كبيرة من الحزن والأزمات يأتي علينا الوقت الذي نسعد فيه جدًا من قلوبنا

مبروك يا منى ، ألف مبروك ، ما تتصوريش فرحانة بيكي قد إيه !

- الله يبارك فيكي يا هبة ، ربنا يخليكي ليا يارب . أتأخرتي كده ليه ؟!

ما اتأخرتش ولا حاجة ، وبعدين ما احنا كنا مجهزين كل حاجة وجبنا كل حاجة

آه ، الحمد لله . تعالي اقعدي جنبي ،

جلست بجانب مني نضحك ونمزح ، فقد كنت لازلت غير مصدقة أن صديقتي الوحيدة ستتزوج .

بس قولي لي يا مني ، أنتم جهزتم الحديقة ليه بكل الزينة دي ؟ أنا حاسة أنكم هتعملوا الفرح هنا

أنتي بتقولي فيها ، ما هو ده إللي هيحصل

بتهزري !

والله ، بابا وماما بعد ما كنا هنعمل الفرح في فندق ، وحاجزين بقالنا بجي أربع شهور ودافعين مقدم ، راحوا من يومين لغوا الحجز وأخدوا المقدم ، وقرروا أن الفرح بكرا في الفيلا

إيه ده ليه كده ، طيب والناس إلى أنتم عازمينهم ؟ لحقتوا تبلغوهم بتغيير المكان

آه بابا وإبراهيم وماما بقالهم ٣ أيام بيكلموا الناس ليل نهار عشان يبلغوهم بتغيير مكان الفرح

طيب ليه ؟!

معرفش بس بيني وبينك أحسن ، أنا مكنتش عاوزة حاجة كبيرة وبعدين

وبعدين إيه ؟ مالك ؟

- شفتي عمر ؟!

آه ، شفته

شفتي شكله بقى عامل إزاي ؟

آه ، واتصدمت !

لأ ، متتصدميش لسه لما تشوفي داليا هتنهاري .

ليه

اصبري ، أهي جاية هناك

فين ؟

هناك أهي !

توجهت بنظري في اتجاه إشارة منى لأصدم مرة أخرى ، هل هذه داليا التي رأيتها منذ عدة أشهر في كامل أناقتها وصحتها وجمالها ؟! .. ماذا حدث لهما هم الاثنين ؟ .. لقد نحفت بشدة وواضح عليها التعب والإرهاق ، السواد يحيط بعينيها برغم أطنان المكياج الذي تضعه حتى لا تبين إرهاق وجهها وعينيها عندما تقدمت باتجاهنا حاولت بكل قوتها رسم ابتسامة المرأة الواثقة الفائزة إلا أنني لمحت الحزن بعينيها ، ذلك الحزن الذى لم تستطع إخفائه بمساحيق التجميل

إزيك يا هبة ؟

قالتها داليا بثقة زائفة وعجرفة مصطنعة ، نظرت لي منى خائفة من ردة فعلي ، إلا أنني كنت أعقل من خوفها ؛ فلا يمكن أن أقلب فرحها لمأتم مهما كانت السخافات التي سأضطر لتحملها من داليا

الحمد لله يا داليا ، أنتي إزيك ؟

قلتها بهدوء وأنا أنظر لداليا وأبتسم ابتسامة صافية على وجهي ، فقد كنت بالفعل تغاضيت عن كل ما أحدثته من جروح بي ، يكفيني الحال المزري

الذي وصلت إليه هي وعمر

الحمد لله ، في أحسن حال

طيب الحمد لله . (قلتها وأنا أبتسم أنا ومنى في استغراب من أسلوبها الذي أقل وصف ممكن له هو الوقاحة)

وصلني أنك اتخطبتي لأدهم عبد الرحمن ، مبروك

الله يبارك فيكي يا داليا ، شكرا

طيب ممكن أتكلم معاكي كلمتين على انفراد ؟

نظرت منى لها شذرًا ، في حين استغربت أنا من طلبها واستطردت

ليه ؟ ما تتكلمي قدام منى

ضحكت داليا ضحكتها الباردة التي كانت تمتعنا بها مؤخرًا

هههههه مالكم اتخضيتوا كده ليه ؟ أنا بس عاوزة أقولك على حاجة خاصة بيكي أنتي .

طيب مفيش مشكلة ، اتفضلي

تقدمتني داليا إلى غرفة المكتب ، في حين أمسكت منى يدي وهي تنظر لي وفي عينيها نظرة قلق ، فهي تعلم قدرة داليا على هدم أي سعادة نشعر بها ، إلا أنني طمأنتها بأنني أعي ذلك جيدًا ولن أسمح لها بخلق مشكلة جديدة تفسد علينا حياتنا

دخلت وراءها غرفة المكتب ، وأغلقت الباب خلفي . جلست أمامها منتظرة ما ستقوله لي في ضيق

خير يا داليا !

أنا عارفة أنك بتكرهيني ومش طايقاني ، بس أنا لازم أقولك إللي أعرفه .

أنا لا بكرهك ولا مش طايقكي ، بالعكس أنا بس بقيت بخاف من الأخبار إللي دايمًا بتجي لي بيها .. خير ؟!

أنتي واثقة أن أدهم بيحبك ؟

آه ، واثقة جدا . ومش هتعرفي توقعي بيني وبينه ، العبي غيرها

ضحكت داليا ضحكة رقيعة طويلة جعلتني أشمئز منها ، وأرغب في صفعها بقوة إلا أنني تملكت أعصابي ، فمهما حاولت لن أفقد هدوئي

أدهم ما بيحبكيش ، أدهم كل إلى يهمه أنه يوصل لي وينتقم مني عشان سبته واتجوزت عمر

أمم

مش مصدقاني ؟

لأ طبعًا

طيب أنا هثبت لك ، هو مش جالك وجاب لك صور وسديهات عشان ينتقم مني أنا وعمر وبعدين أنتي أقنعتيه أنه ينسى الموضوع ده ، وكلمك بعدها وقالك إنه أقتنع ، وقابلك تاني مرة في النادي واتخانقتوا وبعدين كلمتيه وصالحتيه ، وتقابلتوا بعد كده كذا مرة ، وحبتيه وبعدين طلب إيدك صح ولا أكمل؟

للمرة الثانية أشعر بصفعة قوية تنزل على وجهي . من أين عرفت كل تلك التفاصيل ؟ فأنا لم أرو تلك التفاصيل حتى لمنى صديقتى الوحيدة ، أيعقل أن يكون أدهم هو أيضًا ... خائنًا ؟! كما لو كانت داليا عرفت ما أفكر فيه ، فاستطردت سريعًا

طبعًا أنتي عاوزة تعرفي أنا عرفت منين ؟

عرفت منه هو ، أدهم جالي وحكى لي كل حاجة ، وقال لي إنه كـان بيعمل كل ده عشان يغيظني ، وكان فاكر أنـه يقدر ينسـاني بيكـي ، لكن للأسف معرفش ، مقدرتيش تنسيه حبه ليا

كذابة !

لو أنا كذابة أمال عرفت كل ده منين ؟!

صحيح ، من أين لها معرفة كل تلك التفاصيل ؟ كيف ؟!

يا الله ، أنا في كابوس ، كابوس لا أعلم متى سأستفيظ منه ! هل من الممكن أن يكون كل ذلك مجرد حلم سخيف سأستيقظ منه لأجد أدهم حبيبي الوفي كما هو ؟ أم أنـا أصـبحت ماركـة مسـجلة لخيانـة الرجـال ، كـل مـن يقتـرب منـي يجري بعيدًا عني ويلهث وراء داليا ، لماذا يحدث لي كل ذلك ؟ لماذا ؟!

لم أنتظر منها أي كلام آخر ؛ فأنا اكتفيت بما سمعته منها حـتى الآن تركتهـا وغادرت دون أن أنظر خلفي ، حتى عندما نادت منى عليَّ لم أجبها خرجت مسرعة وركبت سيارتي وانطلقت بعيدًا عن هذه الفيلا التي تحوي شيطانًا فـي زي امرأة

طوال الطريق إلى منزلي ظل كلامها يدور في رأسي كالسـهام إذا افترضـنا جدلًا أنها كاذبة ، إذًا كيف عرفت كل تلـك التفاصـيل ؟! لا أحـد يعـرف هـذه التفاصيل سـواي وأدهـم ، وأنـا لـم أتحـدث معهـا بـالطبع ، إذًا لا يوجـد سـوى أدهم، بكل تأكيد هو من أخبرها

انحرفت سيارتي بقوة على جانب الطريق وكادت أن تنقلب لولا أن نجاني الله أوقفت السيارة لألتقط أنفاسي وأنا أشعر ببركـان ثـائر يعتمـل فـي صـدري لعنة الله على الحب والخيانة والجرح والكذب ، لمـاذا أعطيتـه الأمـان ؟ كـان يجب عليّ أن آخذ احتياطاتي ، كان يجب أن أمنعه من التوغل في حياتي أنا

غبية غبية

عند هذه النقطة لم أعد أستطع التحمل والتماسك ، ظللت أصرخ وأبكي بحرقة على غبائي وحظي العاثر حتى شعرت بأنني أنهكت تمامًا من كثرة البكاء وانهيار الأعصاب ولم أستطع القيادة لعدة دقائق ، تحملت على نفسي ، جففت دموعي وعاودت القيادة وتوجهت إلى منزلي

***

رسالة

وصلت إلى منزلي عندما رن جرس هاتفي المحمول معلنًا آخر رقم ممكن أتوقعه الآن ، رقم أدهم نظرت لشاشة الهاتف ، لا أعرف ماذا أفعل هل أجيبه وأنفجر فيه ؟! أم أغلق الهاتف وأغلق معه هذه الصفحة إلى الأبد ؟

لا ، لن أصمت يجب أن أواجهه بما عرفته للتو

ألو ، حبيبتي وحشتيني .

حقيقي ؟!

حقيقي إيه ؟ مالك يا هبة ؟ مال صوتك ؟

في موضوع عاوزة أكلمك فيه

خير يا حبيبتي ، في حاجة حصلت ؟ حد ضايقك في الحنة ؟

إيه علاقتك بداليا يا أدهم ؟

علاقتي بداليا ؟ مفيش طبعًا

متأكد ؟

آه طبعًا متأكد ، هو في إيه ؟!

في أن داليا عارفة كل حاجة حصلت بيننا حتى الكلام إللي دار بيني وبينك في الجامعة ، وخروجتنا وتفاصيل ميعرفش عنها حاجة غيرنا احنا الاثنين . وأكيد يعني معرفتهاش عن طريقي، يبقى عرفت الكلام ده منين ؟!

معرفش ، أنا مصدوم من الكلام إللي بتقوليه حقيقي معرفش، أنا آخر مرة شفت فيها داليا كان في ألمانيا ، بعد كده مشفتهاش.

حقيقي ؟ أصل إللي وصلني أنك روحت لها واعترفت لها أنك لسه بتحبها ، وأنك اتقربت مني وخطبتني عشان تغظها ، وعشان كنت

فاكر اني أقدر أنسيهالك ، بس يا حرام أنا معرفتش ، فسبتني ورجعت لها وحكيت لها على كل إللي دار بيننا

هبة ، أنتي أتجننتي ؟! كل ده كدب ، أقسم بالله كدب

أمال هي عرفت التفاصيل ديي كلها إزاي ؟!

والله ما أعرف ، أنتي هتشككيني في نفسي ؟! .. ودااليا إيه إللي أنا لسه بحبها ؟ أنا مبحبش حد غيرك أنتي

كفاية كدب يا أدهم ، كفاية حرام عليك عملت فيك إيه عشان تعمل فيا كل ده ؟ حرام عليكم دمرتوني كلكم ، الأول عمر وأنت دلوقتي ، أنينك في إيه عشان تجرحني بالشكل ده ؟! حرام عليكم بقى ، هو ده وعدك ليا ؟! هو ده وعدك أنك هتحبني وعمرك ما هتخوني ؟ ليه ؟ أنا عملت فيك إيه ؟!

أرجوكي يا هبة تهدي ، أنا جاي بكرا على أول طيارة ، وهتكلم والله العظيم داليا كدابة ، والله العظيم لا شوفتها ولا كلمتها

أمال هي عرفت الكلام ده كله منين ؟!

معرفش

تبقى كداب ومش عاوزة أشوفك ولا عاوزة أعرفك تاني ، وإلى بيننا انتهى ، انتهى

أغلقت الهاتف وألقيت به بعيدًا ، وانهارت على أول مقعد أمامي وظللت أبكي وأنا أشعر بالنار تنهش في قلبي ، بالرغم من مروري بهذه التجربة سابقًا إلا أن هذه المرة تختلف ؛ فأنا أحب أدهم حبًا جمًا ، وليس حب مراهقة كما كان الحال مع عمر لماذا جرحني هكذا ؟ لماذا لم يقدر حبي ؟ أيعقل أن يكون كلام عينيه كذبًا ؟! مستحيل ، لا أستطيع أن أصدق أن كلامه ونظرات عينيه

ولمسات يديه كلها تمثيل وخداع . ولما لا ، ألم يخدعني من عاشت معه سنين طويلة مقتنعة أنه لي وحدي ، وهو في الحقيقة لم يكن يومًا لي ولا لقلبي توقفت عن البكاء وقد أتخذت القرار ، لن أضعف مثل المرة السابقة وأدخل في دوامة حزن لا تنتهي ، لن أسمح لرجل أن يدمر حياتي مجددًا ويكسرني ويكسر عزيمتي جففت دموعي معاهدة نفسي ان لا أبكي مجددًا مهما كانت الظروف

أمضيت الليل كله مستيقظة ، لا أستطيع النوم ولو لبضع دقائق ، رأسي مليئ بالأفكار ، وقلبي يأس منه الحزن أغلقت هاتفي وقررت أنني لن أذهب لزفاف منى ؛ فأنا في حالة نفسية سيئة ، ولن أستطيع رؤية الشيطانة داليا أو مواجهتها ، لقد أجهدت وأشعر أنني في دوامة لا ناقة لي فيها ولا جمل ، دوامة لا تنتهي كما لو كان جرح قلبي أمرًا ضروريًا لتستمر الأرض في دورانها حول الشمس إنني حتى لا أعرف لماذا كل ذلك يحدث لي ؟ لماذا تكرهني الحياة هكذا وتريد تدميري ، كما لو كنت عدوتها ؟!

إنني أبلغ من العمر خمس وعشرون عامًا إلا أنني أشعر أن عمري تجاوز الخمسين أو السبعين حقا لم أعد أستطيع التحمل والاستمرار في لعبة لم أدخلها باختياري ، ولا أعرف كيف سأخرج منها أو هل سأخرج منها سالمة أم لا ؟! .. وقتها لم أكن أعرف أن اللعبة ستنتهي بأسرع مما أتوقع

عاودت فتح هاتفي في منتصف اليوم تقريبًا ؛ لأرسل رسالة نصية لمنى لأبلغها بعدم قدرتي على الذهاب لزفافها ، وأطلب منها أن تسامحني ، عندما وجدت رسالة غير متوقعة ، ومن آخر إنسان يمكن أن أتحدث معه الأن . رسالة من رقم أعرفه جيدًا ، ولازمني في حياتي لمدة أربع سنوات ، رقم هاتف عمر ..

"هبة تعالي حالًا لفيلا ٨ حي الشروق التجمع الخامس . متتأخريش وتعالي لوحدك ، عمر

وقفت أحاول استيعاب الأمر لبضع دقائق ، لماذا يرسل لي عمر رسالة بهذا المضمون الغريب ؟ ولماذا يرسل لي رسالة من الأساس ؟!

قررت تجاهل الأمر برمته ، فربما يكون عمر يدبر لي شيئًا ليؤذيني به هو ودواليا ، إلا أنني قررت قطع الشك باليقين والاتصال بمنى واستعلام الأمر منها ظل جرس هاتف منى يرن كثيرًا حتى أنني شعرت بمرور اللحظات كأنها ساعات ، حتى أتاني صوتها على الطرف الثانى من الهاتف صوتها مهزوز وباكٍ بطريقة أشعرتني بالقلق والخوف عليها بشدة

منى ، مالك ؟ في إيه ؟!

هبة ، تعالي بسرعة

آجي بسرعة فين ؟ منى ، مالك ؟!

تعالي بسرعة في فيلا عمر ، أبوس إيدك يا هبة تعالي

!!!؟؟؟

كفاية كده .. سمعتي يا هبة ، تعالي بسرعة

صدمت وأنا أسمع صوت عمر يدخل في الحوار ويقول لي كفى وتعالي أغلق الخط سريعًا ، شعرت بالشلل لمدة دقائق لا أعلم ماذا أفعل ، ولا كيف أتصرف هل أتصل بالشرطة ؟ ولكننى لا أعلم إذا كانت منى تواجه خطرًا أم لا . ولكنني عدلت عن الفكرة ، إن عمر برغم كل شيء أخا منى ، ولن يقدم أبدًا على إيذائها يا الله ، يجب أن أتصرف وفي شكل سريع

ذهبت في عجلة من أمري لفيلا عمر لأرى ما يحدث طوال الطريق والقلق والخوف يعصفان بي حتى أن السيارة كادت أن تنقلب بي للمرة الثانية خلال

٢٤ ساعة عندما وصلت أمام الفيلا كانت مظلمة بالكامل لدرجة توحى بعدم وجود أحد بداخلها وهنا بدأ الشك يفتك بى وأنا أتساءل ماذا يحدث داخل هذه الفيلا المظلمة؟

ركنت سيارتي أمام المدخل ودخلت في بطء وحرص ، وأنا أتلفت حولي وأتعثر في السير ؛ فقد كنت أشعر أن قلبي سيتوقف من الخوف والقلق، فأنا لم أكن يومًا من هواة التشويق وأفلام الرعب، وقد كنت بالفعل أشعر بوجود كارثة بانتظاري ، وقد كنت محقة في مخاوفي ؛ فعندما فتحت باب الفيلا لأدلف بداخلها وجدت ما لم أكن أتوقعه يومًا ، مشهدًا صادمًا ومرعبًا ومخيفًا بكل المقاييس

***

المواجهة

٢٠ يناير ٢٠١١

يوم تاريخي لن أستطيع نسيانه مهما حاولت . فقد وجدت منى وداليا مقيدتان بالحبال ، تجلسان على مقعدين في منتصف بهو الفيلا ، وفي الجوار مقعد ثالث فارغ ، يبدو أنه معد خصيصى لي . فبمجرد دخولي من باب الفيلا أنغلق سريعًا ، ووجدت عمر يدفعني بعنف إلى الأمام ، وهو يصيح في غضب وهيستريا لأنني تأخرت في المجيء

وقعت على وجهي أرضًا ، وعندما حاولت أن أقف مجددًا وجدت عمر يحملني سريعًا ويجلسني فوق المقعد الثالث ، ويقيدني دون حتى أن يعطيني الوقت لأتنفس أو حتى لأفهم ما يحدث . قيدني وجلس أمامنا وهو ينظر لنا نظرات زائغة غير مستقرة ، كان أشعث الراس مهلهل الملبس ، السواد يحيط بعينيه الجاحظتين مظهره يدل على الجنون البحت ، أرعبني مظهره المخيف بشدة - خاصة عندما نظرت ليديه ووجدته يمسك مسدسًا ويصوبه تجاهنا ، هل ينوي قتلنا ؟!

ربما ، لم أعد أستبعد شيئًا بعد ما رأيته منه ، ولكن لماذا ؟! ألم يتزوج من المرأة التي خانني معها ؟ ألم ينجب طفلة جميلة من صلبه ، ماذا يريد غير ذلك ؟! ألجمتني الصدمة لدرجة شلت تفكيري تمامًا وأوقفت عملية التنفس التى أصبحت عملية شاقة لا أقدر على تحملها كانت آثار الضرب جالية على وجه داليا وأنحاء جسدها . في حين أن نظرات الخوف والرعب تملأ عيون منى مع شلالات من الدموع المنهمرة على وجهها

أنت عاوز إيه يا عمر ؟

بدأت أنا الحديث معه بعدما استجمعت شجاعتي قليلًا ، لعلي أستطيع تهدئته وإقناعه بفك أسرنا .

عاوزكم

يعني إيه عاوزنا ؟!

يعني عاوز كل حاجة ترجع زي ما كانت ؛ أنتي ترجعي مراتي ودواليا تبقى عشيقتي ، ومنى أختي الوحيدة ، بس كده

إيه ؟! أنت أكيد اتجننت !

اتجننت ؟! هههههه ليه ؟! هو أنتي متعرفيش ؟!

معرفش إيه ؟!

أني مجنون ومن زمان كمان

أنا هقوم أكلم المأذون والشهود ، أنا مرتب كل حاجة . لو فتحتي بقك بكلمة أو اعترضتي قدام المأذون هقتلكم كلكم ، أنتي فاهمة ؟! هقتلكم كلكم . أنا مبقيتش خايف من حاجة ومبقاش فارق معايا حاجة ، ولا فارق معايا حد أنتم فاهمين ؟!

قالها عمر في هياج شديد ، وهو يصيح بقوة لدرجة شلت أعصابنا جميعا لقد تحول لوحش حقيقي مجنون ، ولكن ما العمل الآن ؟ كيف سنتحرر من قيدنا هذا ؟ كيف ؟!

ياه ، أول مرة نتجمع احنا الثلاثة من سنين طويلة

قالتها داليا وهي تنظر للمجهول ، وترسم ابتسامة سخرية على شفتيها نظرت لها أنا ومنى في تعجب وعدم فهم هل أصابها الجنون هي الأخرى؟!

وهو ده وقته حضرتك ؟! (قالتها منى باستنكار)

ده هو ده عز الوقت ، هو في أحلى من كده ؟! (**قالتها داليا** بسخرية

عجيبة)

وهو مين إللي فرقنا ؟ مين إللي خان الصداقة وعشرة السنين ؟ مين إللي وصلنا للي احنا فيه يا داليا مش أنتي ؟! (قالتها منى بعصبية شديدة)

لأ ، مش أنا أخوكي هو إللي وصلنا للي احنا فيه (قالتها داليا وهى تنظر لمنى بتهكم واستهزاء)

أخويا ؟!

آه ، أخوكي كان عاوز هبة مراته إللي قدام الناس عشان مستواه الاجتماعي زي ما أهله رسموا له ، وأنا كان عاوزني لمزاجه

وإيه إللي خلاكي تقبلي حاجة زي دي ؟!

عشان كنت بحبه ، ولقيت معه إللي ما لقيتهوش مع حد

وليه مقولتليش يا داليا أنك بتحبيه ؟ (قلتها لأول مرة بعد فترة من الصمت)

مكانش ينفع أقولك يا هبة ، ولا أقول لمنى ولا أقول لحد نهائي

ليه ؟ أنا مش فاهمة

في حاجات كتيرة أنتم الاتنين متعرفوهاش ، ومكانش ينفع تعرفوها حاجات كانت هتقلب عالمكم راسا على عقب زي ما بيقولوا أنا بس إللي كنت أعرفها وأنا بس إللي كنت أعرف أتعامل معها ، لكن أنتم لأ

حاجات إيه دي ؟ عرفينا حد يقول لنا حاجة عن الفيلم إللي بقالنا أكتر من سنة عايشين فيه ده أنا تعبت (قالتها منى بنفاذ صبر بعدما زاد حنقها من داليا) .

مصيركم هتعرفوا كل حاجة في وقتها ، أنا بس ليا طلب صغير وحيد ، أنا عارفة أني آخر واحدة ممكن تطلب منكم أي شيء ، بس أنا مليش غيركم أنتى ومنى اوعديني يا هبة أنك تخلي بالك من بنتي ، تربيها وتطليمها أحسن مني ، تخليها زيك

إيه ؟!

ماتستغربيش كلامي ، أنا عارفة أن آخرتي قربت وخايفة بنتي تتحمل ذنب ملهاش يد فيه ، أرجوكي اوعديني أنك تربيها وتديها الحب والحنان إللي اتحرمت منه أنا لو أمي كانت فضلتني على نفسها وربتني وفضلت جنبي مكانش ده كله حصل لي

هو أنتي مش يتيمة ؟!

صمتنا جميعًا عندما سمعنا وقع خطوات عمر آتية ، والدم احتبس في عروقنا، وهو ينظر لنا نظرات غريبة كأن شيطانا قد استحوذ على جسده وحولوه لمجنون مخيف. الوحيدة التي ظلت تنظر له نظرات سخرية حزينة ليس بها خوف أو رعب هي داليا . كما لو كانت معتادة على هذا الأمر أو ربما ليست هي المرة الأولى التي تراه على هذا الشكل ، وهو ما أثار ريبتي أنا ومنى وحول الرعب إلى فضول قاتل لمعرفة كل شيء وكشف الحقيقة الغائبة

أنا هخرج أستنى الرجالة برا ، إللي **هتتنفس فيكم هقتلها** أنتم فاهمين ؟! أحسن لكم تسمعوا الكلام وكل **شيء هيمر بسلام**

انفجر عمر ضاحكًا بشكل هيستيري ، وهو **يغادر باب الفيلا خارجًا** للحديقة تاركًا وراءه ثلاثة نساء محطمات نفسيًا وذهنيًا

كررت منى سؤالها في إلحاح ، فلم يعد **لديها صبر ! فهي تريد** أن تعرف الحقيقة مثلي تمامًا

داليا ، هو أنتي مش قلتي لنا أنك يتيمة ؟!

لأ ، للأسف أنا مش يتيمة ، أنا والدي ووالدتي عايشين في الدنيا للأسف.

أمال عيشتي عند جدتك ليه ؟!

صمتت داليا بضع ثوانٍ ، وامتلأت عيونها بدموع حزينة مكسورة ، واستطردت دون أن تنظر لنا أو تحول نظرها عن العدم

لما كان عندي ١٢ سنة ماما حبت واحد تاني غير بابا ، وكانت على علاقة به وفي يوم بابا سافر في شغل فأستغلت هي سفره وجابته بيتنا وشوفتهم وهما في اوضتها نايمين مع بعض ، ومن حظها السيء أن رحلة بابا اتلغت ومسافرش ورجع وشافها ، وعشان سمعته طلقها بس شك أنها ممكن تكون بتخونه من زمان ، وأني ممكن أكون مش بنته . وكان أياميها مفيش اختبار الـ DNA وطبعًا ماما عشان إللي عملته مقدرتش تكذّبه . وفي يوم وليلة بقيت أنا ابنة غير شرعية لأم خاينة وأب قاسي

انهمرت الدموع من عين داليا كأنها شلالات من نار تعبر عما يعتمل بصدرها من ألم وحزن دفين لأول مرة منذ بداية تلك الأحداث أشعر بالشفقة عليها، ولأول مرة نشعر أنا ومنى أننا كنا في منتهى الغباء والسذاجة، أكملت داليا حديثها وهي تحاول التماسك بصعوبة لكن دون جدوى

بعدين بابا اتجوز وخلف تاني ونسيني أنا تمامًا ، وماما بردو رمتني عند ماماتها ، وراحت اتجوزت عشيقها وعشت أنا مع جدتي إللي نسبتني لجدي الله يرحمه

- ليه مقولتيش لنا الكلام ده قبل كده ؟ ليه خبيتي علينا ؟ ليه ما

فضفضتليش ؟ (قالتها منى وهي تقاوم دموعها)

أقول إيه يا منى ؟! أنتم كنتم عايشين مع أهاليكم مستقرين ، ناس محترمين وأهل يشرفوا بجد ، كنت بشوفهم إزاي بيحبوكم وبيخافوا عليكم وبيهتموا بيكم كنت بحس بالدفا والأمان وأنا في وسطيكم ، إزاي كنتي عاوزاني أقول لكم إني من أم ساقطة وأب عديم الإحساس والرحمة ، أقول إيه بس ؟! بلاش ، أهلكم كانوا هيقولوا عليا إيه ؟ كانوا هيرضوا أنكم تصاحبوني ويدخلوني بيتهم ؟! أكيد لأ ، وأنا كنت بحبكم قوي ومش هنكر أني كنت بغير منكم ، بالذات منك يا هبة عشان موضوع عمر

ليه مقولتليش أنك بتحبيه وكنتى على علاقة به ؟ ليه خبيتي عني؟ ليه يا داليا ؟!

عشان مكنش ينفع أقولك حاجة، عمر وباباه هددوني ، جوازتك من عمر كانت لازم تتم باي شكل

ليه ؟!

مش مهم ليه يا هبة ، المهم توعديني أنك عمرك ما هتتخلي عن بنتي وهتربيها ، وتخلى بالك منها وتعامليها على أنها بنتك، اوعديني

أوعدك يا داليا ، أوعدك

وابقي قولي لها كلام حلو عني ، قولي لها أمك كانت طيبة بس الظروف كانت ضدها ، متقوليش لها على الحاجات الوحشة إللي عملتها فى حياتى، خلى صورتى تبقى كويسة فى عينيها اتفقنا ؟!

حاضر ، حاضر متخافيش

ظلت عيون كل منا معلقة بعين الأخرى ، ودموعنا تقول ما تعجز عنه ألسنتنا

، لماذا لا تكون الحياة رحيمة بنا ؟ لماذا تعذبنا وتقهرنا بهذا الشكل المخيف المؤلم ؟ لماذا ؟!

في حاجة كمان عاوزة أعترف لك بيها

حاجة إيه يا داليا ؟

كل إللي قلته لك عن أدهم ... محصلش

إيه ؟!

أنا عرفت أنه رجع مصر عشان ينتقم مني ، وعرفت من مدحت صاحبه إللي صورني أنه اداله الصور والسديهات ، وخفت من قربكم لبعض أنكم تأذوني أو تنتقموا مني عشان كدة خليت البنت إللي بتشتغل عنده في البيت تجيب لي كل أخباره ، بيكلم مين ، بيخرج يقابل مين ، أي كلام تسمعه تيجي تقوله ليا . ولما شوفتك في الحفلة سعيدة ومبسوطة غيرت منك وحبيت أوجعك ، بالذات أنه من ساعة ما اتجوزت عمر وأنا كل يوم آكل علقة ، فحبيت أتعسك زي ما أنا تعيسة ، وخفت تكوني هتقولي لعمر على حاجة ، أرجوكي سامحيني

أسامحك على إيه ولا إيه يا داليا ؟! .. حرام عليكي أنا أذاتك في إيه بس ؟! ليه كل ده ، ليه ؟!

عشان أنا مريضة يا هبة ، ودخلت وأنا صغيرة بعد إللي بابا وماما عملوه مصحة نفسية ، وكنت بأخد أدوية للإكتئاب وأدوية تعالج الانحراف السلوكي والأخلاقي . أنا مش سليمة زيكم ، أنا زي عمر مريضة

- عمر ؟!

قلتها أنا ومنى في صوت واحد ، في حين تنهدت داليا في صبر ، وأجابتنا بنفاذ صبر

أمري إلى الله ، هقول لكم كل حاجة عمر كان بيتعالج في مصحة نفسية في ألمانيا

إيه ؟! أنتي بتقولي إيه ؟! (قالتها منى باستنكار شديد ، في حين شعرت أنا بدلو ماء بارد سقط فوق رأسي ألجم لساني وأخرسني تماما)

طيب هبة طبيعي متبقاش عارفة وتستغرب ، لكن أنتي كمان إزاى مكنتيش تعرفي ؟

أنا أول مرة أسمع الكلام ده

عمر سافر ألمانيا وهو عنده ١٨ سنة بعد حادثة ما حكاليش تفاصيلها ، لكن بناءً عليها باباكي ومامتك قرروا يسفّروه ألمانيا ويدخلوه مصحة نفسية بيملكها دكتور صاحب والدك عشان يتعالج من مشكلة لها علاقة بالسادية

السادية ؟ سادية إيه ؟!

السادية ده مرض نفسي بيصيب الإنسان وبيخليه عنيف في تصرفاته مع الناس والحيوانات ، وبتبان أكتر في العلاقة الجنسية

إيه ؟! أنتي عاوزة تقولي أن عمر كان منحرف جنسيًا ؟!

آه

بس إزاي أنا عشت معه ٣ سنين وكان طبيعي جدًا

لأ ، مكانش طبيعي ، دي الأدوية إللي كان بياخدها كانت بتهديه وبتهدي الحالة إللي عنده ، غير طبعًا تهديد أهله أنه لازم يكون زوج

محب ومحترم ووقور معاكي عشان ما يتفضحش . من الأخر أنتي كنتي الزوجة المحترمة إللي تليق بمهندس محترم له سمعته واسمه وسط رجال الأعمال . برستيج أنتي كنتي مش أكتر من برستيج ، لكن أنا كنت الـ dirty work !

يعني إيه ؟!! (قلتها وأنا على شفا الانهيار مما أسمعه)

يعني أهله كانوا فاكرين أن الأدوية بتعالجه ، وأنه بدأ يخف خاصة لما أنتي ما اشتكتيش من أي حاجة غريبة ، وكان باين عليكي السعادة ، وأنه هو بالفعل زوج مثالي لكن في الحقيقة هو كان كدة معاكي عشان كان بيفرغ كل عقده وأمراضه بساديته فيا أنا، فمكانش محتاج يعمل معاكي حاجة، أنا كنت بقوم بالواجب ، وهو ده إللي خلاه بعد ما قطع علاقته بيا بعد زواجه منك يرجع يكلمني تاني وترجع علاقتنا زي زمان باختصار مقدرش يفضل مستقيم إلى الأبد ، ساديته ومرضه غلبوه

أنا مش قادرة أصدق إللي بتقوليه ، مش معقول !

ليه ؟ أنتي مشوفتيش الصور إللي اديتها لك

شوفتها ، بس

مشوفتيش حاجة غريبة ؟! أوضاع غريبة مثلًا ؟! بلاش، مشوفتيش السي دي ؟!

لأ

لو كنتي شوفتيه كنتي هتعرفي أنا عرفت الموضوع ده من أول يوم نام معايا فيه في ألمانيا في صيف سنة أولى جامعة ، ومن ساعتها مسبناش بعض .

وقبل ما يشوفك كان بيعمل إيه ؟ عمر درس في ألمانيا وأخد الدكتوراه من هناك يبقى إزاى كان مريض ؟! كان بيطلع مرضه في مين ؟ (قالتها منى بعصبية وانهيار تام ؛ فما سمعته للتو عن أخيها كان فوق الاحتمال)

كان بيجيب عاهرات يعمل فيهم إللي هو عاوزه ، أخوكى خرج من المصحة بعد سنتين بيحاولوا يعالجوه فيها ، ومفيش شهرين وبدأت تيجي له نوبات عنف متتهيش غير لما يكسر البيت كله في ألمانيا ، لحد ما اتعرف على واحد في الجروبات الجنسية المنحرفة أو السادية. وبدأ يفهمه أن حالة العنف دي سببها الكبت الجنسي إللي عنده ، وأنه لازم يفرغ ده ، وفي بنات ليل متخصصين للحاجات دي . وبالفعل جاب له واحدة ومن هنا بدأ أخوكي يبقى سوي ، يعني الصبح طالب ومهندس محترم وبالليل عربيد منحرف وسادي لحد ما عرفني ، ومن ساعتها مبقاش محتاج بنات ليل

وأنتي كنتي عارفة ده كله وموافقة إزاي ؟!

أنا قلتلكم أنا زيه مريضة ، وبعدين هو مكانش مؤذي هو بس يعني مختلف في الجنس وأنا زيه مختلفة ، احنا الاتنين زي بعض ، فولة وانقسمت نصين

اسكتي يا داليا كفاية .(قلتها وأنا أقاوم حالة الغثيان التى أصابتنى فما سمعته للتو كان مقزز وغير محتمل، كيف عاشرت هذا الشخص ثلاث سنوات دون أن أشعر بشيء؟ كيف؟)

عمر مش سيء ، عمر ضحية أب وأم حملوه فوق طاقته ومفهموش أن ابنهم مريض ولازم يتقبلوه زي ما هو ، زي ما أنا كنت ضحية

أبويا وأمي إللي شيلوني ذنب أنا ما أرتكبتهوش وكانت النتيجة أنّي اتدمرت

صمت ثلاثتنا أمام الحقائق والمفاجآت غير المتوقعة التي صارت تهبط علينا من كل صوب ، كيف انقلبت الحياة بهذا الشكل ؟! كيف كبر ثلاثتنا هكذا ، صرنا عجائز ونحن ما زلنا في ريعان الشباب . كيف تدمرت حياتنا وأصبحت غير مستساغة ولا تطاق ؟! .. لماذا كبرنا ، وأحببنا ، وتزوجنا ؟ .. لماذا لم نستمر طلابًا أكبر همومنا هي المذاكرة والنجاح في الامتحانات وتحقيق الأحلام فقط لا غير . لماذا لم ترحم الحياة صداقتنا وحياتنا لقد كنت بالأمس القريب مقتنعة تمامًا أن عمر ودانيا ما هم إلا شخصين خانتين أساءا التصرف ، جرحانا بأنانيتهم ، لا يستحقان أي عاطفة أو شفقة أو الاحترام ، ليأتي اليوم واكتشف أن الأمر أكبر من ذلك بكثير إنهما ضحايا لأشخاص أكبر منهم دمروا حياتهما وقضوا على مستقبلهما ، وجعلوهما مرضى يحتاجان الرعاية والحب والرحمة

في ظل هذا الصمت الحزين المليئ بالألم والحسرة ، المختلط بالدموع والجروح ، كل منا تشعر بأن بداخلها فجوة عميقة سببها إنسان لم يفكر سوى في نفسه ومصلحته وأنانيته كانت النتيجة جرح وأثر غائر لن يستطيع الزمن مداوته مهما حاول في ظل الصمت المطبق فوق أنفاسنا، وجدنا إبراهيم يدخل ببطء وحذر شديدين وراءه أدهم يتبعه من المطبخ ، توجه إبراهيم لمنى يقبّلها ويحتضنها في شوق وقلق عليها ، وهو يقوم بفك قيودها ، في حين توجه أدهم صوبي ودون أن يتفوه بكلمة واحدة ، أو حتى ينظر إليّ أخذ في فك قيدي وهو يسألني بحزم رقيق وقلق غير مباشر

- أنتي كويسة ؟

الحمد لله

أجابته بصوت متحشرج من البكاء والحزن وأنا أرتعش ؛ مما أقلقه وجعله يتخلى عن خصامه لي ويجذبني بقوة رقيقة لصدره ، ويضمني في حب وخوف حقيقين

أنا كنت خايف يجرى لك حاجة ، كنت حاسس أني هموت لما رحت لك البيت وملقتكيش ، ولما إبراهيم كلمني وقال لي أنه مش لاقي مني ولا لاقيكي كنت هاتجنن . فضلنا ندور عليكم في كل مكان لحد ما لاقيناكم هنا

أنتم عرفتم منين أن احنا جوا ؟!

شفنا عمر وهو واقف برا ، وشكله غريب قلنا أكيد في حاجة مريبة بتحصل هنا أنتي كويسة يا حبيبتي ؟

آه كويسة، أنا آسفة يا أدهم ، أنا عرفت كل حاجة أنا حقيقي آسفة سامحني

متتأسفيش يا هبة ، أنا مش زعلان ، المهم أنك بخير يا حبيبتي، المهم أنك بخير

(ضمني أدهم بشدة إلى جانب قلبه ، وتشبثت به في قوة ؛ فقد كنت أريد أن أشعر بالأمان والحب في صدره)

يلا بينا يا جماعة قبل ما عمر يحس ويجي (قالها إبراهيم بعدما فك قيود داليا ، وساندتها مني ؛ فقد كانت لا تستطيع الحراك)

امشوا أنتم أنا هستنى هنا.

تستني إيه يا داليا ؟ (قلتها في ذعر وقلق)

- أنا وعمر في مركب واحد يا نكمل مع بعض ، يا نغرق سوا مفيش

بديل . يلا اهربوا أنتم قبل ما يجي وسامحوني .

يلا بينا ، يلا يا هبة

بس

مفيش بس ، يلا بينا

قالها أدهم ممسكًا يدي ، وهم بالرحيل عندما وجدنا عمر أمامنا كأنه ظهر من العدم ، كانت ملامحه أكثر جنونًا وشراسة وقف أمامنا وفي يديه المسدس مصوبًا تجاهنا

أنتم فاكرين نفسكم هتخرجوا من هنا ؟ أنتم كلكم هتموتوا هنا كلكم كلكم !

عمر ، عمر حبيبي عشان خاطري اهدى أنا أختك ، عشان خاطري أنا متعملش كده

أنتي عارفة كويس أني بحبك يا منى ، أنتي بس زعلانة مني عشان بوظت لك فرحك ، بس أنا هعملك فرح أحسن منه ألف مرة ، بس لما أرجع لهبة الأول

ارتمت منى في صدر إبراهيم ، ولم تستطع التحدث مع عمر أو حتى النظر إليه ؛ فقد كان البكاء ردها الوحيد المناسب في تلك اللحظة

عمر سيب المسدس لو فعلا حبيتني في يوم ، سيب المسدس

لسه بتسألي يا هبة ؟! أنا حبيتك قوي بس أنتي سيبتيني وروحتي اتخطبتي لغيري أنا عاوز كل حاجة ترجع لطبيعتها ، فيها إيه نرجع كلنا أسرة واحدة

في تلك اللحظة دخل والد ووالدة عمر من باب الفيلا ، وفوجئا بمنظر ابنهم المحزن وهو يصوب المسدس تجاهنا في جنون . حاولا أن يثنياه عما يفعله

ويرجوانه دون جدوى استغل أدهم انشغال عمر مع أهله في الحديث ونظر إلى إبراهيم الذي فهم ما تقوله عيناه . بدأ الاثنان في الرجوع للخلف في بطء، ممسكان بي وبمنى في محاولة يائسة أن يخرجوننا بسلام من الفيلا عن طريق الباب الذي دخلا منه ، إلا أن عمر شعر بحركتنا فاستدار سريعًا وأنطلقت رصاصة عن طريق الخطأ من مسدسه المصوب تجاهي أنا وأدهم أغلقت عيني في سرعة منتظرة الموت في أي لحظة ، وأنا أتساءل كيف سيكون ؟ وهل سأتألم أم لا ؟ وفي لحظة واحدة صمت كل شيء ، وأظلمت الحياة كأنني سابحة في العدم

فتحت عيني على صوت صراخ وعويل هنا وهناك ، لأجد نفسي حية وأتنفس بشكل طبيعي وأمامي جثة مدرجة في دمائها إنها داليا ساقطة أرضًا والرصاصة مخترقة قلبها معلنة قرب إعلان النهاية

***

الحقيقة
الغائبة

انحنيت سريعًا بجانبها ، وأنا أمسك يديها وأبكي بحرقة على الصديقة التي ظلمتها الأيام ولم تمهلها النهاية فرصة فتحت داليا عيونها في صعوبة، ونظرت لي نظرة ذات مغزى وهي تقول بحروف تخرج منها بصعوبة بالغة.

بنتي يا هبة أمانة في رقبتك

متخافيش مش هاسيبها أبدًا ، متخافيش

ابتسمت داليا في رضا ، وأكملت في صعوبة

سامحيني واطلبي لي الرحمة ادعي لي يا هبة

لم يمهل القدر داليا الوقت الكافي لتسمعني وأنا أؤكد لها أنني سامحتها من كل قلبي . فقد صعدت روحها إلى بارئها لترتاح ، وبقيت أرواحنا نحن للحزن والألم والبكاء ، ظللت جالسة بجانبها أبكي في صمت في حين انهارت مني وسقطت مغشى عليها

انزوى عمر في ركن الغيلا يبكي كالأطفال بعدما ألقى المسدس أرضًا ، وبقي الجميع في حالة ذهول وعدم تصديق حتى وصلت الشرطة والإسعاف لحمل الجثة

روينا ما حدث للشرطة ، وتأكدوا أن الرصاصة أطلقت عن طريق الخطأ ، فلم يكن عمر يقصد قتل أحد . وبعد ساعة كاملة من التحقيق وسؤالنا جميعًا ومعاينة مكان الحادث رحلوا ومعهم بطلي اللعبة - عمر وداليا ؛ جثة ماتت وارتاحت ، وجثة حية ميتة والسبب أهل لم يعرفوا أو يقدروا قيمة أولادهم !

توجهت إلى والد عمر الذي ظل صامتًا عكس زوجته التي انهارت مثل مني

أعتقد يا عمي أنا من حقي أعرف كل حاجة ، من حقي أعرف حقيقة الراجل إللي كنت عايشة معه ، ومش همشي غير لما أعرف الحقيقة كاملة .

هز رأسه في موافقة صامتة واستسلام تام ، وبدأ حديثه وأنا أستمع إليه في انتباه وصمت

عمر بدأ يبان عليه أعراض عنف غريبة من وهو طفل صغير ، كان مثلاً بيجد متعة في تعذيب قطة أو كلب قلقنا عليه وأخدناه لدكاترة نفسيين كتير عشان نعالجه ، كانوا بيكتبوا له أدوية تهديه بس كانت مؤقتة ، وكانت حالته كل مدى يتسوء وتزيد . لما كبر وبقى عنده حوالي ١٨ سنة ، كان عندنا في البيت خادمة عندها حوالي ٢٣ سنة، اكتشفنا أنه كان بينام معها من وهو عنده ١٦ سنة والبنت مكانتش بتقول حاجة ، ولا هو كمان بس مكانتش دي المشكلة ، المشكلة أن مامته كانت بتلاقي عليها آثار ضرب وتعذيب ، ولما تسألها تقول لها ده أبويا بيضربني ، لحد ما في مرة خرجنا أنا ومامته وعمر كان فاكر أن احنا هنتأخر ، فأخد البنت وطلع بها أوضته وبدأ يمارس معها علاقة جنسية شاذة زي العادة

لما رجعنا بدري سمعنا أصوات صراخ وأصوات غريبة جاية من أوضته ، دخلنا عليه واكتشفنا أن ميوله العنيفة تطورت وبقى بيطلعها في الجنس أخدته وسافرت به ألمانيا ودخلته مصحة واحد صاحبي ، فضل فيها سنتين ، ولما حالته اتحسنت خرجناه بس خليناه يدرس برا عشان محدش يعرف مشكلته ، وعشان يكون جنب المصحة . وفعلا درس وانتظم ونجح ورجع مسك المصانع واتجوزك

وليه مصارحتينش بكل ده قبل الزواج ؟

مكانش ينفع ، أنا كنت عاوز أبني له حياة مستقرة سوية مع زوجة

محترمة ، مكانش ينفع تعرفي عنه حاجة زى ديه.

تبني لأبنك حياة مستقرة على حسابي أنا ؟! مخفتش أبنك يعمل فيا إللي عمله في الخادمة ؟ مخفتش يضربنى ولا يقتلنى ولا يعمل فيا أى مصيبة؟

ابني خف ؛ بدليل أنه معملش فيكي حاجة

ابنك مخفش ، ابنك فضل مريض زي ما هو ، وعشان يرضيك كان بيمثل عليك أنه سليم . لكن طول الفترة إللي فاتت - من ساعة ما خرج من المصحة لحد دلوقت - كان بينام مع ستات وبيمارس معهم ساديته ، لحد ما قابل داليا وبقى مش محتاج يجيب بنات ليل ينام معهم . كان قدامكم بيمثل أنه زوج مثالي ومن وراكم بيجري يمارس شذوذه مع داليا وغيرها

مش معقول ، مش ممكن إللي بتقوليه ده أنا كنت مراقبه كويس

لأ ، معقول وهو ده إللي دمره لما العالم إللي هو خلقه انهار ، انهار هو كمان معه ، لما اطلقت منه واتجوز داليا ، وداليا بقيت قدامكم زوجته الرسمية ، مبقاش قادر يمارس معها شذوذه عشان متشكوش في حاجة . وهنا حصل له كبت ورجعت له نوبات العنف ، وبقى يضرب داليا كل يوم وعشان كده هو خطفني النهارده عشان يرجعني له ، عشان أرجع الزوجة الشرعية أمامكم وأمام المجتمع ، وداليا ترجع لعبته إللي بيطبق معها شذوذه ؛ وبالتالي يرضيكم ويرضي نفسه

مش معقول إللي بتقوليه ، مش معقول أنا مصدوم !

- مصدوم ؟! .. أنت إللي عملت في ابنك كده لو كنت قبلت فكرة أنه

مريض وحاطيته في مصحة يتعالج ومضغطتش عليه عشان يكون الصورة إللي في خيالك مكنش كل ده حصل له مكانش بقى عنده حالة انفصام في الشخصية ، معكم ومعايا شخص ، ومن ورانا مع داليا وبنات الليل شخص تانى مريض سادي

أنت مش بس دمرت ابنك ، أنت دمرتني ودمرت داليا ، ودمرت بنتك ، وإلى أنت كنت خايف منه حصل ، ابنك هيترمي عمره كله في مصحة نفسية ميطلعش منها أبدًا ، وسمعتك وبرستيجك إللي كنت خايف عليهم خلاص راحوا ، بكرا الجرايد كلها هتكتب على الفضيحة بالتفاصيل المملة ، وبنتك هتعيش فترة لا بأس بها تتعالج نفسيًا من إللي شافته وعرفته عيش بقى مع الحقايق دي كلها !

تركته جالسًا على المقعد غير واعٍ لما حدث ويحدث من حوله . تركته وأنا أرجو الله أن ينتقم منه تأنيب ضميره على ما فعله في ابنه وابنته وفيّ أنا وفي داليا . وجدت أدهم ينتظرني خارج الفيلا ، لم أشعر بنفسي إلا وأنا أرتمي في أحضانه وأبكي ، أبكي بحرقة ، لعل البكاء يخفف قليلًا من وطأة الألم والجرح احتواني أدهم في حب وهو يقبل قمة رأسي ، ويحيط جسدي كله بذراعيه كم أحبه ، وكم أشعر أن الله عوضني به خيرًا . حقيقة .. لم أعرف كيف كانت ستكون حياتي أن لم يكن فيها.

مرت الأيام ، وما حدث بها كان شبه متوقع ، فقد انهارت منى تمامًا ودخلت المستشفى تعاني من اكتئاب حاد وانهيار نفسي وظل إبراهيم بجانبها رافضًا تركها ولو للحظة ، في حين تم إيداع عمر مستشفى العباسية بعد أن عرفت المحكمة أنه مريض وغير مسئول عن تصرفاته وأفعاله . سافر والده ووالدته إلى ألمانيا بعد أن أنهيا كل مشاريعهم هنا في مصر ، وأبتاعا مزرعة صغيرة

في ضواحي ألمانيا وانعزلا فيها

أما أنا فتزوجت أدهم بعد أن تعافت منى وخرجت من المستشفى ، تزوجت أنا وهي في نفس اليوم ونحن نعاهد أنفسنا أن ننسى الماضي بآلامه وأحزانه ونبدأ من جديد ، نبدأ في عقد هدنة مع الحياة سائلين إياها تركنا لبعض الوقت ، نسعد ونفرح ونلهو دون خوف من المستقبل أو المجهول أو مما قد تحمله لنا الأيام من مفاجآت قد تدمر ما تبقى لنا من إنسانيتنا وآمالنا في الحياة

***

الخديعة

وكما لو كانت الحياة خجلت من نفسها ؛ فقررت تركنا سعداء ، فها أنا الآن وبعد مرور عام كامل على زواجي من أدهم أجلس لأكتب لكم قصة من أغرب القصص ، لكنها قصة حياتي التي كانت من الممكن أن تدمرني كما دمرت غيري

فأنا قابلت وجوهًا خدعت كل من حولها ، وقابلت أشخاصًا أنانيتهم قتلت أقرب الناس إليهم . فبعد أن كنت ناقمة على داليا وعمر لخيانتهما لي ، وكدت أعتقد خطأً أنهما شيطانان في ثوب ملائكي ، كشفت لي الحياة العكس ، اكتشفت أنهما ضحية ، ضحية أنانية الغير

فداليا ضحية خيانة والدتها التي لم تفكر في ابنتها ، المرأة التي جرت وراء غرائزها ونسيت ابنتها، وضحية أب كان يعلم جيدًا أنها ابنته الوحيدة ولكن حقده على زوجته الخائنة أفقده القدرة على التمييز بين الأم والابنة المسكينة ، فكانت النتيجة أنه عاقب الابنة بدلا من أن يعاقب الأم ترك الفتاة تعبث بها الأيام كما تشاء ؛ فمرضت وضاعت أخلاقيًا وإنسانيًا ، ومانت دون أن يشعر بها أحد ، وحرمت طفلة مسكينة من حنانها وحبها وحتى من إصلاحها

أما عمر أول حب في حياتي وأول رجل يقتحم معبدي ، كان ضحية أنانية أب لم يسلم أن ابنه مريض ويحتاج العلاج ، لم يتقبل فكرة أن ابنه لن يكون يومًا ما يريد بل ضغط عليه وحاول تشكيله بما يناسب أنانيته أب كل ما كان يهمه في الحياة هو نفسه واسمه وسمعته فقط - وإن كان كل ذلك على حساب ابنه المريض الذي يحتاج لمساندته ودعمه أمام مرضه. فكانت النتيجة تفاقم حالته المرضية ، وها هو يعيش مسجونً تعيسًا وحيدًا

ولم يكتف بتدمير حياة ابنه الوحيد ؛ فقام بنصب شباكه حولي حتى أكمل

الصورة التي رسمها في خياله ، وصار يطبقها على أرض الواقع . جعلني أحب رجلًا لا يعرف معنى الحب قط ولا يقدر قيمته ؛ لأنه مريض يحتاج نوعًا آخر من الرعاية ، فكانت النتيجة ضياع أربع سنوات كاملة من حياتي وأنا أعيش في وهم نسج والده خيوطه ببراعة ، والده الذي كان من الممكن أن يقضي عليّ !

حتى مني وإبراهيم كانا من ضحاياه لولا أن حبهما كان وما زال صادقًا قويًا عاتيًا ، استطاع الصمود أمام المشاكل ومجابهة الفضائح التي خرجت للعلن وادهم كان ضحية أنانية داليا وأنانية عمر

شبكة طويلة ومعقدة من الوجوه الكاذبة الخادعة الأنانية دهست بمنتهى القسوة قلوب كثير منا ، حتى من استطاع التحمل والصبر ظلت آثار الجروح بارزة على قلبه لتعلن بفخر أنها نالت جزءًا كبيرًا منه

ولكن برغم كل ما حدث فأنا أعترف أنني تعلمت الكثير من محنتي ومن التجارب المؤلمة التي مرت بي . لقد تعلمت أن أحب وأسامح مهما كان الجرح قويًا ؛ فمن سبب لي جرحًا أكدت لي الأيام أنه جاء عليه يوم وجرح بشدة تعلمت أن أكون إنسانة تستحق الحياة ، إنسانة تحترم مشاعر الآخرين ، انسانة تقدر قيمة الحياة والأسرة والأصدقاء ، إنسانة تعشق الحياة وتجد السعادة وسط ضجيج الحزن المنتشر ، إنسانة تبحث عن الضوء في ظل العتمة ، إنسانة تطبق معاني الإنسانية وتفهم جوهرها . ليس هذا فقط ، بل عاهدت نفسي أن أعلم ابنتي " جنة " الملاك الذي أوصتني داليا به - قبل موتها - بحفظه وحبه واحتوائه

ها هي أمامي تلهو وتمرح في سعادة مع أدهم زوجي الحبيب ، تملأ ضحكاتها العذبة الجميلة البريئة أرجاء المنزل . نعم ، يا ابنتي الحبيبة سأعلمك كيف

تكونين امرأة قوية تعرف معنى الإنسانية ، وتعرف معنى الحب ، تحافظ على نفسها وتعتز بكرامتها ، تعرف كيف تبني كيانًا قويًا لنفسها دون أن تستغل أحدًا ، أو تأذي شخصًا بأنانيتها ، والأهم من ذلك تعرف كيف تحيا مع الوجوه الخادعة

هبة ، مش هتيجي بقى أنتي هتفضلى تكتبي لحد امتى ؟!

خلاص ، خلصت أهو وجاية لكم .

نعم ، لقد أنهيت قصتي مؤقتًا ، ولكنني أعلم جيدًا أن بعد سبعة أشهر ستحدث مفاجأة جديدة مفاجأة ستدمر كل شيء وستحيي الماضي من جديد بكل آلامه وجروحه وفضائحه أنا أيضًا كان لي وجه مخادع ، خدعت به كل من حولي بغرض الخوف عليهم ، ففي أحشائي كائن سيعلن عن وجوده للعالم كله بعد سبعة أشهر فقط . أنا حامل من أدهم ، نعم أنا حامل ؛ فالسر الذي لا يعرفه أحد أن عمر هو من كان عقيمًا ولست أنا ، ولكنني كذبت في وقتها خوفًا عليه عندما كنت أعتقد أنني أعيش حياة طبيعية

السؤال الذى سيطرح نفسه على الساحة بقوة هو إذا كان عمر عقيمًا إذا " جنة " ابنة من ؟!

سؤال سيفجر فضائح جديدة ، ومشاكل لا حصر لها ، لكننى لن أعبأ بها الآن فأنا أريد أن أحيا كل لحظة في حب وسعادة مع عائلتي الصغيرة تاركة الماضي بآلامه للنسيان يتكفل به ، والمستقبل للمجهول يعبث به ، أما أنا فابنة الحاضر . واليوم أنا امرأة سعيدة تحيا في حب ودفء ، مسئولة عن طفلة جميلة سأحميها بكل ما أوتيت من قوة ، وكائن عذب هو ثمرة حبي الحقيقية من رجل نادر الوجود ، ومهما كانت المشاكل والمعوقات لن أبدد سعادتي مجددًا في الخوف .

***

مجرد فكرة
البداية فكرة

الخديعة

هالة الملوانى

تأتى لحظات على الإنسان يعتقد فيها أن حياته قد أنتهت تماما، وإن كل شىء من حوله قد تحول إلى سراب لا معنى له، وهنا يجد نفسه أمام حقيقة واضحة لاريب فيها، إنه فشل : فشل فى كل شىء : فى الحب : فى الزواج : فى التطلع للمستقبل، حتى أحلامه وطموحاته دمرها بيديه من أجل من ظن خطئا أنه يستحق : إنها تلك اللحظة التى يقف فيها مع نفسه وينظر حوله ويفكر .. ماذا يريد ؟ ما هى أهدافه ؟ ما هى أحلامه التى تخلى عنها وغرقت فى طوفان الزمن و الحياة ؟ و لماذا وصل به الحال إلى هذه المرحلة المزرية ؟ وماذا سيفعل الآن؟ هل سيستسلم للفشل ام سينهض ويحاول من جديد ؟ أسئلة كثيرة ومحيرة تدور فى رأسه: قد يجد لها إجابات وقد يتركها للمجهول : ولكن الشىء المؤكد انه سيبدأ حياته من هنا : من هنا سيتخذ القرار، قرارا بالإستمرار أو قرارا بالإنسحاب.. وأنا وقفت ونظرت وفكرت و....

اتخذت القرار!

عن الكاتب

هالة الملوانى ، كاتبة مصرية ناشئة ، من مواليد القاهرة عام ١٩٨٧، تخرجت فى كلية الآداب قسم اللغة الفرنسية بجامعة القاهرة ، عام ٢٠٠٨، بدأت الكتابة بشكل احترافىّ عام ٢٠١٢ من خلال المواقع الثقافية المتعددة ، ولها عدة إصدارات إليكترونية منها : نغمات أدبية بنكهة نسائيّة ، حزب الكنبة يحدثكم . مشاعر امرأة .